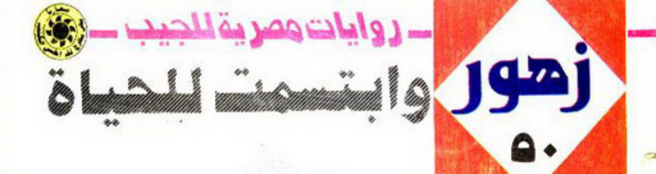


شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ ش كامل صدقي بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب.. وفى لحظات الكراهية.. وفى لحظات الجفاف.. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذي طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلي زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ ـ عودة الابنة ..

كانت فيلا (عبد القادر رضوان) تغصّ هذه الليلة بالعديد من المدعوين والمدعوات ، خاصة من الشباب والشابات صغار السن ، احتفالًا بعيد ميلاد ابنته (شيرين) ، التى بلغت اليوم الحادى والعشرين من عمرها .

وقد حرصت (دولت المنصورى) والدة (شيرين) ، على بذل أقصى الجهد ، من أجل إخراج هذه الحفلة فى أبهى وأجمل صورة .

فهى لم تأل جهدًا منذ الصباح فى الإشراف على إعداد (التورتات) و (الجاتوهات) وتوزيع الزينة فى أرجاء الفيلا ، واستقبال الضيوف مع ابنتها ، فهى دائمًا فخورة بها ، تحيطها بكل أنواع الرعاية والتدليل ، وتحرص على تلبية كل متطلباتها .

وكانت (شيرين) هى الابنة الثانية (لعبد القادر رضوان) ، إذ أن له ابنة أخرى من زوجته الأولى ، تركتها له وهى فى السادسة من عمرها ، بعد وفاتها إثر كفاح مرير مع المرض ، استمر لمدة عامين ، ولكنها فى الوقت

نفسه الابنة الوحيدة (لدولت المنصورى) .. فهى لم تنجب سواها برغم أن (عبد القادر) كان هو الزوج الثانى فى حياتها .

ولم يكن التدليل والاهتمام المفرط من جانب الأم ، والذى عززه ثراء الأب ، هو كل ما تحظى به (شيرين) فى حياتها التى مرت دون متاعب تذكر .. بل لقد مَنَّ الله عليها أيضًا بجمال باهر يسلب الألباب ، وجاذبية ملحوظة .. بالإضافة إلى روح مرحة ، وحيوية متدفقة .. وكأنها خلقت للمرح والاستمتاع بكل مباهج الحياة .

وبرغم رسوبها المتكرر فى الدراسة بسبب هذا التدليل ، إلا أن هذا لم يكن يلقى اهتمامًا كبيرًا من جانبها ومن جانب أمها .. فقد كان ثراء الأب ، وحرصه البالغ على إرضاء زوجته وابنته . بمثابة ضمانة لها ، جعلتها لا تهتم كثيرًا بهذا الرسوب ، ولا بالدراسة ذاتها .. ولو أن الأب لم يكن راضيًا عن هذا .. بل ولا عن أسلوب الحياة الذى اعتادته ابنته وينال تشجيع الأم .

كما أن إحساسًا بالذنب كان يراوده من آن لآخر ، تجاه ابنته الكبرى ، فقد حرمها القدر من الكثير الذى حظيت به أختها .. من حنان الأمومة منذ سنوات طفولتها الأولى .. وجربت التفرقة فى المعاملة من جانب زوجة أبيها .. برغم

أنها كانت تتظاهر بغير ذلك أمامه .

كما أنها لم تنل حظًا من الجمال كذلك الذى حظيت به أختها الصغرى وكانت دائمًا منذ طفولتها عليلة .. شاحبة الوجه .. قليلة الاكتراث بمظهرها الخارجى . تميل إلى الانطواء وتتجنب مخالطة الآخرين .

وزاد الأمر سوءًا ، عندما أصيبت بذلك المرض الذى داهمها فى الماضى ، وأعجزها عن الحركة ، وأصاب أطرافها بما يشبه الشلل ، مما اضطر والدها إلى إرسالها إلى احدى المصحات العلاجية فى (سويسرا) للعلاج هناك ، بعد أن أكد له الأطباء ، أن مرضها العضوى سببه نفسى فى المقام الأول ، وأنها بحاجة إلى علاج طويل منتظم ، بإحدى المصحات العلاجية بالخارج .

وبرغم أن الأب لم يكن مثاليًا فى عاطفته تجاه ابنته الكبرى .. إلا أنه كان يشعر فى كثير من الأحيان بالأسف ، لأنه لم يستطع أن يجعلها تنال نفس الاهتمام والرعاية ، اللذين حظيت بهما الابنة الصغرى .

وازدادت الحفلة صخبًا بوصول المزيد من المدعوين ..وكانت (شيرين) هى نجمة الحفل الأولى بحق هذه الليلة .. فقد تلقت الكثير من الهدايا ، واستطاعت أن تجذب أنظار كل الفتيان الذين حضروا الحفلة ، وغيرة

كل الفتيات اللاتى تملكتهن الغيرة ، من ذلك الثوب الأنيق الذى ترتديه ، والذى زاد جمالها إشراقًا .

وتسابق الفتيان فى الحديث إليها ودعوتها للرقص .. كما تنافسوا على التودد إليها ، فى حين أخذت هى تعاملهم كما لو كانت أميرة تقف بين رعاياها .

وقال الأب لزوجته متبرمًا ، وقد بدا الضيق واضحًا على وجهه ، من هذا التحرر الزائد ، الذى تتعامل به (شيرين) مع أصدقائها :

- لست أوافق على هذه الحرية الزائدة ، التى تتعامل بها ابنتك مع ضيوفها . وقالت له زوجته ، وهى تحدجه بنظرة مؤنبة !

- لا تكن رجعيًا إلى هذا الحد .. إنها شابة صغيرة ، ومن حقها أن تمرح وتلهو ، خاصة فى هذه الليلة .. فهذا الحفل أقيم من أجل عيد ميلادها إذا كنت قد نسيت .

الأب .

- إننى لم أقل شيئًا .. ولكن ..

قاطعته ، قائلة :

- ولكن ماذا ؟ إنها لا تفعل شيئًا يتجاوز حدود اللياقة والأدب ، ماذا لو رقصت مع بعض أصدقائها قليلاً أو ضحكت معهم ؟!

الأب :

- إننى لا أحب كلمة أصدقائها هذه .. فإن معناها غير مستحب فى مجتمع شرقى كمجتمعنا .

قالت بسخرية :

- لم أقل لك إنك رجعى ؟ حسن فلنقل زملائها .. ألا ترى أن ابنتك جميلة ، وتستحق أن تكون موضع اهتمام الجميع ؟!

قال بتأفف :

- حسن حسن .. لا داعى للاستمرار فى المزيد من المناقشة .. دعينا نقطع التورتة ، حتى أسرع بمغادرة المنزل ، فورائى بعض الأعمال التى يجب أن أنهيها الليلة كما تعرفين .

قالت زوجته ، معترضة :

- ولكنها الثامنة فقط .. إننا سنقطع (التورتة) ونفتح (البوفيه) فى العاشرة مساءً .

قال بضيق :

- حسن إذن اقطعوا (التورتة) وافتتحوا البوفيه بدونى .. فلابد لى من استقبال بعض الأشخاص فى المطار فى التاسعة تمامًا .

قالت زوجته ، ساخطة :

ـ ماذا ؟ أتريد أن تحرج البنت أمام أصدقائها فى ليلة كهذه .. كيف نفتتح البوفيه بدونك ؟.. ماذا تقول لهم لو سألوها عن أبيها ، وعن سبب عدم تواجده فى لحظة كهذه ، وتقبيله لها ، وتقديمه هدية عيد ميلادها على مرأى من الجميع ؟!

قال لها وهو مستمر فى تبرمه :

ـ تقول لهم : إن أباها لديه بعض الأعمال التى يتعين عليه إنجازها .. فأنا لا أستطيع أن أعطل أعمالى ، لأن موعد افتتاح البوفيه لابد أن يكون فى العاشرة مساءً ، حسب أوامر الهانم زوجتى .

ثم إننى لا أدرى ماذا يحدث ، لو أننى قبلتها الآن وقدمت لها هديتها ، ثم تركتها تستكمل بقية الليلة مع زميلاتها وزملائها ؟. هل سيثير هذا ضجة فى الصحف ووسائل الإعلام ، فيكتبون غدًا مثلًا .. فضيحة كبرى فى منزل رجل الأعمال (عبد القادر رضوان) .. وأن رجل الأعمال المذكور ارتكب جرمًا لا يغتفر ، لأنه غادر منزله ليلة عيد ميلاد ابنته ، قبل أن يفتتح معها البوفيه فى العاشرة مساءً .

قالت زوجته فى غضب :

ـ هكذا أنت دائمًا .. لا نلقى منك إلا السخرية والتهكم .

رد عليها قائلًا :

ـ وهكذا أنت دائمًا .. تبدين اهتمامًا زائدًا ببعض الأمور التافهة .

قالت بغضب :

ـ هل تنظر إلى عيد ميلاد ابنتك على أنه شىء تافه ؟

أجابها قائلًا :

ـ هاأنتذى قد قلتها .. إنه عيد ميلادها هى ، وليس عيد ميلادنا نحن .. فلتحتفل به بالطريقة التى تحلو لها إننى لم أقصر فى أى شىء طلبته منى من أجل الاحتفال بهذه الليلة .. كما أننى أحضرت لابنتك هدية قيمة .. فما هو المطلوب منى أكثر من ذلك ؟!

قالت زوجته محاوله إنهاء المناقشة :

ـ حسن .. حسن .. لا داعى للجدال ..سنفتتح البوفيه الآن ، حتى تستطيع أن تلحق بعملائك .

وفى تلك اللحظة اقتربت (شيرين) قائلة لأبيها :

ـ ماذا حدث يا أبى ؟ هل كنتما تتشاجران ؟

قال لها الأب :

ـ كلا يا ابنتى .. ولكن ..

قاطعته الأم قائلة :

ـ أبوك يريد أن تقطع (تورتة) عيد ميلادك الآن ..

لأنه يرغب فى اللحاق ببعض الأعمال .

(شيرين):

ـ ولكن الكثير من أصدقائى لم يحضروا بعد .

نظر الأب إلى ذلك الجمع من الأشخاص اللذين ازدحمت بهم قاعة الفيلا ، قائلًا .

ـ ألديك أصدقاء آخرون غير هؤلاء ؟

ضحكت قائلة :

ـ هؤلاء يمثلون نصف المدعويين فقط .

وابتسمت الأم قائلة وهى تنظر إلى ابنتها بإعجاب.

ـ إن ابنتك محبوبة من الكثيرين ، واجتماعية .. ألا يسعدك هذا ؟

كظم غيظه وهو يرسم ابتسامة على وجهه قائلًا .

ـ نعم .. نعم يسعدنى كثيرًا .

وتحول إلى ابنته قائلًا وهو يضع يديه على ساعديها :

ـ اسمعى يا حبيبتى .. أبوك لديه بعض الأعمال التى يتعين عليه أن ينجزها ، ولديه بعض الأشخاص الذى يتعين عليه ألا يتأخر عن لقائهم .. فهل تسمحين لأبيك بأن يقدم لك هديته الآن ، ويسارع بالانصراف حتى يتمكن من إنجاز أعماله ؟

قالت (شيرين) ، معترضة :

ـ بدون أن تفتتح معى (البوفيه) أمام أصدقائى ، وتقطع معى (التورتة) ؟ لا يمكن طبعًا .. ألم يكن من الممكن تأجيل أعمالك هذه إلى يوم آخر ؟

قالت الأم وفى صوتها رنة غضب :

ـ يبدو أنه يتعين علينا أن نفتتح (البوفيه) الآن .. ما دام أبوك يختار أوقاتًا غير مناسبة لإتمام أعماله .

والتفّ الجميع حول (تورتة) عيد الميلاد ، ليشاركوا فى إطفاء شموعها وقد أخذوا يهللون ويصفقون (لشيرين) ، فى حين احتضنت الأم ابنتها لتقبلها بحرارة قائلة :

ـ كل سنة وانت طيبة يا حبيبتى .

وقبلها الأب أيضًا وهو يمد يده فى جيبه ليخرج لها هديتها قائلاً :

ـ كل سنة وانت طيبة يا (شيرين) .

وتطلعت (شيرين) فى فضول إلى العلبة التى أخرجها الأب من جيبه ، وشاركها فى ذلك بعض الملتفين حول المائدة ، حتى فتحتها ، وتناولت منها سوارًا ماسيًا لتهتف ، قائلة :

ـ سوار ماسىّ .

ثم أحاطت عنقه بساعدها ، وهى تقبّله فى وجنته قائلة :

ـ متشكرة جدًا يابابا .

قبّلها الأب مرة أخرى قائلًا :

ـ عقبال مائة سنة ياحبيبتى .

وقالت لها الأم :

ـ هل رأيت كم يحبك والدك ؟

ولكن نظرات الأب ما لبثت أن تجمدت ، لدى رؤيته لتلك الفتاة النحيلة ذات الوجه الشاحب ، التى كانت تقف لدى مدخل الردهة ، وهى تنظر إليهم وفى عينيها نظرة حزينة .

وهتف وهو يفارق مكانه متقدمًا نحوها :

ـ (هدى) .. متى عدت إلى (مصر) ؟

مدّت له (هدى) وجنتها ليقبلها فى فتور قائلة :

ـ لقد جئت من المطار رأسًا إلى هنا .

قال لها الأب بارتباك :

ـ ولكنك لم تخبرينى بموعد حضورك .

أجابته قائلة ، وفى عينيها نظرة ثابتة :

ـ بل لقد أخبرتك أن فترة بقائى فى المصحة (بسويسرا) ستنتهى منذ ثلاثة أيام .. لقد اتصلت بك منذ

عشرة أيام لأخبرك بذلك .

قال الأب وعلى وجهه ملامح الأسف :

ـ آه .. صحيح .. لقد نسيت .. مشاكل العمل ومتاعبه أنستنى .

نظرت (هدى) إلى أختها وإلى المدعوين قائلة :

ـ إننى أقدر ذلك ياأبى .. لابد أنك كنت مشغولًا أيضًا بترتيبات عيد ميلاد (شيرين) .

وفى تلك اللحظة اقتربت زوجته لتحتضنها فى ود مصطنع وهى تقول :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا حبيبتى .. يالها من صدفة رائعة أن تعودى إلينا يوم عيد ميلاد أختك .. لتشاركيها هذه الليلة الجميلة .

قالت لها (هدى) فى فتور ، دون أن تبادلها العناق :

ـ ماكنت أستطيع أن أبقى فى (سويسرا) أكثر من ذلك ، بعد أن نفدت نقودى ، وتوقف أبى عن إرسال التحويلات المطلوبة إلى المصحة .

قال الأب وكأنه يعتذر :

ـ لقد توقفت عن إرسال التحويلات ، لعلمى أنه الشهر الأخير لك فى المصحة ، بعد أن انتهت فترة علاجك هناك .

وقالت لها زوجته بنفس الأسلوب الودى المصطنع :

ـ ولكنى أرى أن العلاج قد أتى بنتيجة طيبة .. فصحتك تبدو طيبة للغاية .

نظرت إليها (هدى) وفى عينيها تلك النظرة الجامدة قائلة :

ـ وأنت أيضًا يا (طنط) ، نسيت موعد انتهاء إقامتى فى (سويسرا) .. فلم تتمكنى من أن تذكّرى أبى بذلك ؟

أجابتها قائلة :

ـ فى الحقيقة لقد انشغلت فى الفترة الأخيرة بشراء بعض الأثاث الجديد للفيلا ، وإجراء بعض التغيير فى الديكورات ، وأخيرًا عيد ميلاد أختك .

نظرت (هدى) حولها قائلة :

ـ إننى أرى الجهد الذى بذلته واضحًا .

وفى تلك اللحظة اقتربت (شيرين) قائلة وهى تعانق (هدى) وتصافحها :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا (هدى) .. إننى سعيدة للغاية لحضورك اليوم ومشاركتك لى فى عيد ميلادى .

قالت لها (هدى) بنفس اللهجة الفاترة ، التى كانت تتحدث بها مع أبيها وزوجته :

ـ كل سنة وانت طيبة يا (شيرين) .. إننى آسفة لأننى حضرت رأسًا من المطار إلى هنا ، فلم أستطع أن أشترى

لك هدية بمناسبة عيد ميلادك .

وتأملت السوار الماسىّ الملتف حول معصمها قائلة بنبرة ذات مغزى :

ـ وإن كنت أرى على كل حال أن أى هدية ستقدم لك ، ستتضاءل تمامًا بجوار تلك الهدية التى قدمها لك أبى .

قالت (شيرين) ، وقد أحست بالحرج من تلك النظرة الباردة فى عينى أختها ، وتلك النبرة الفاترة فى صوتها ، وهى تحاول أن تغير الموضوع :

ـ صحتك تبدو على ما يرام .

قالت لها زوجة أبيها :

ـ هيا يا حبيبتى ، اصعدى إلى غرفتك وأبدلى ثيابك ، ثم تعالى لتشاركينا الحفل .

نظرت إليهم بجفاء قائلة :

ـ أعتقد أننى لم أتمكن من ذلك .. فأنا متعبة وأريد أن أستريح .

ثم نظرت إلى أختها قائلة بنفس النبرة الجافة :

ـ مرة أخرى .. كل سنة وأنت طيبة .

ثم اندفعت تركض السلم سريعًا ، صاعدة إلى غرفتها تتابعها نظرات أبيها القلقة ، فى حين أخذت الفتاة وأمها تتلفتان حولهما ، وهما يشعران بالحرج من الضيوف ،

خوفاً من أن يكونوا قد لاحظوا ذلك الحوار العائلى .
وقالت الأم لابنتها ، وقد بدت على وجهها ملامح التوتر :
- هيا يا (شيرين) عودى إلى ضيوفك يا حبيبتى حتى لا يقلقوا .
ظلت (شيرين) تحدق فيها للحظات ، ثم ما لبثت أن هزت كتفيها بلا مبالاة ، وتركتها عائدة إلى مدعويها ، دون أن يفارقها مرحها وحيويتها ، وهمست الأم قائلة للأب فى انفعال مكبوت :
- ألن تتوقف ابنتك عن التحدث بهذا الأسلوب السخيف ، وتلك الطريقة الجافة ؟ كنت أظن أن الفترة التى قضتها فى (سويسرا) قد هذبت أخلاقها أكثر من ذلك .
قال زوجها ، وفى صوته رنة الحزن :
- لا تنسى أنها مريضة .. ثم إننى ارتكبت خطأ فادحًا .. لأننى نسيت تمامًا موعد خروجها من المصحة ، وكان يتعين علىَ إنهاء جميع إجراءآت عودتها إلى مصر ، حينما أخبرتنى بانتهاء فترة العلاج .. لكننى انشغلت عنها بأعمالى ومسئولياتى وبكم كالمعتاد .
قالت له زوجته وهى مستمرة فى غضبها المكبوت :
- إنها لم تعد مريضة .. فقد انتهت فترة علاجها ..

وبالتالى لا يحق لها أن تستمر فى التحدث معنا بتلك الطريقة المتعالية غير المهذبة .. إنها تكرهنى وأنت تعلم ذلك .
قال لها وهو ينظر إلى ساعته ثم إلى الطابق العلوى :
- لا وقت لمثل هذا الجدال الآن .
ثم تقدم صاعدًا فى السلم الخشبى المؤدى إلى الطابق العلوى ، ولكن زوجته استوقفته قائلة :
- إلى أين أنت ذاهب ؟
أجابها قائلًا :
- سأصعد لأراها والاطمئنان عليها .
قالت مستنكرة :
- ألم تقل منذ لحظات إن لديك موعدًا عاجلًا مع عملائك ، وأنه يتعين عليك ألا تتأخر عن استقبالهم ؟
قال لها مترددًا ، وهو ينظر إلى ساعته مرة أخرى :
- نعم .. ولكن ...
قالت مقاطعة :
- ولكن ماذا ؟ لم يتبق على موعدك سوى ربع ساعة فقط ؟ لقد كدت تغادر الحفل قبل تقطيع (التورتة) ، حتى لا تتأخر على هؤلاء الأشخاص .
رد عليها وهو مازال على تردده :

- ربما أرادت أن تتحدث إلىّ .

قالت زوجته :

- وهل تعتقد أنها ستطير من هذا المنزل ؟ إنها عادت لتشركنا فى متاعبها مرة أخرى ، وسيكون لديكما متسع من الوقت خلال الأيام القادمة للتحدث معًا .

نظر إليها زوجها قائلًا بغضب :

- (دولت) .. لقد أخبرتك أكثر من مرة ، أننى لا أحب أن أراك تتحدثين عنها بذلك الأسلوب .. أعتقد أنك لست بحاجة لكى أذكرك بأن هذه الفتاة هى ابنتى ... ومتاعبها هى متاعبى .. ومن المفروض أن تتحملى معى مسئولية رعايتها أيضًا .. باعتبارك زوجتى .. وباعتبار أن الزوجة من المفروض أن تشارك الزوج مسئوليته ومتاعبه وهمومه .. حتى لو كنت تكرهينها .

قالت مستدركة وهى تخفف من لهجتها :

- أكرهها ؟ لقد أخبرتك بذلك من قبل .. لكنها هى التى لا تمنحنى الفرصة لكى أحبها .. إنها هى التى تكرهنى وتناصبنى العداء بلا مبرر .. ولمجرد أننى زوجة أبيها .. وأعرف أنها تكره أختها الصغيرة أيضًا ، برغم أنها تحاول التظاهر بغير ذلك .

قال زوجها بنفاد صبر :

- سنعود إلى هذا الحديث والجدال مرة أخرى .

قالت له وهى تصحبه نحو الباب ، ممسكة بذراعه :

- معك حق .. يتعين عليك أن تذهب لكى تلحق بعملك ، وتلتقى بأولئك الأشخاص الذين ينتظرونك .

نظر إلى أعلى ثم إلى زوجته قائلًا :

- دعيها تستريح .. لا تحاولى أن تقلقيها أو تثيرى أى نقاش معها ، أيًا كان السبب .

قالت وهى تحنى رأسها بطريقة مسرحية :

- سمعًا وطاعة ياسيدى .. لن أوقظ الأميرة النائمة .. هل تريد منى أيضًا أن أطرد المدعوين وأنهى الحفل إكرامًا لابنتك ؟

قال بنبرة جادة وهو يرد على تهكمها !

- سيكون هذا أفضل .

ثم غادر الحفل ، دون أن يضيف حرفًا واحدًا .

★ ★ ★

٢ - أريد حبك وحنانك ..

عاد (عبد القادر) إلى منزله فى ساعة متأخرة من الليل حيث وجد ابنته الصغرى . واقفة لدى مدخل الفيلا ، تودع أصدقاءها ، بعد انتهاء حفل عيد ميلادها ، وما إن رأته حتى هللت قائلة :

- أبى .. لقد افتقدتك كثيرًا .. كان يجب أن تكون موجودًا ، لترى الهدية التى قدمتها لى طنط (عايدة) وعم (فؤاد) .

نظر (عبد القادر) إلى ساعته ، وقد بدت على وجهه أمارات التجهم ، لتأخر ابنته فى السهر حتى هذه الساعة المتأخرة .. لكنه تمالك نفسه وحاول أن يسيطر على مشاعره ، وهو يقول لابنته :

- بعد أن تنتهى من توديع أصدقائك ، حاولى أن تحصلى على قسط وافر من النوم ، فأنا أرى عينيك مجهدة من السهر .. وأجّلى فتح الهدايا إلى الغد .

قبّلته قائلة :

- تصبح على خير يا بابا .

قبّلها بدوره على جبينها ، وهو يقول :

- تصبحين على خير يا بنتى العزيزة . وعقبال مائة سنة .

ثم سارع بدخول الفيلا .. ولكن قبل أن يصل إلى الباب الداخلى ، ألقى نظرة على الطابق العلوى ، حيث رأى نافذة غرفة ابنته الكبرى (هدى) مفتوحة على مصراعيها .. ولمحها تزيح الستار جانبًا ، ثم تعود إلى الداخل .. برغم الظلام الذى كان يخيم على الغرفة ، فأسرع إلى الداخل ، واستقبلته (دولت) قائلة :

- هل انتهيت من عملك ؟

ولكنه تجاهل سؤالها قائلًا :

- أتدرين كم الساعة الآن ؟ إنها تقترب من الثالثة صباحًا .. أيجوز لفتاة صغيرة مثل (شيرين) ، أن تبقى ساهرة حتى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟

ردت عليه زوجته قائلة :

- إنها على كل حال سهرانة فى منزلها ، وبين أصدقائها .. وإن لم تسهر فى ليلة كهذه فمتى تسهر ؟

ولم يحاول أن يجادلها ، وإن بدا على وجهه تعبير ينم عن احتجاج صامت . ولكنها استوقفته قائلة :

- (عبد القادر) .. ماذا بك ؟

أشاح بيده قائلًا :

- لا .. لا شىء .

وصعد إلى الطابق العلوى .. ولديه إحساس بالضيق لا يدرى كنهه .

إنه متيقن أن ضيقه هذا ، لا شأن له بتصرفات ابنته الصغرى .. وتلك الحرية الزائدة التى تمنحها لنفسها ، والتى تشجعها عليها أمها .. برغم أن ذلك يضايقه أحيانًا .. فهو على كل حال سيشارك الأم هذا التدليل للابنة ، ويشعر نحوها بعاطفة قوية .. تجعلها أقرب إنسانة إليه فى هذه الدنيا .

ولكن ضيقه فى هذه الليلة بالذات .. والذى حال بينه وبين التركيز فى الحديث مع عملائه كما يجب ، لابد أن له علاقة بابنته الكبرى ، فهى تشعره دائمًا بالذنب نحوها .. برغم أنه واثق بأنه لم يقصر فى واجبه تجاهها . ولكن لديه دائمًا ذلك الإحساس بالذنب نحو هذه الفتاة .

إنه غير مسئول عن وفاة أمها ، وهى ما زالت فى سنوات عمرها الأولى .. ولا يمكن لأحد أن يتهمه بالأنانية ، لزواجه من امرأة أخرى ، فهذا حقه ، وليس من حق أحد أن يحرمه منه .

وهو غير مسئول أيضًا عن تلك العلاقة المتوترة ، التى نشأت بين زوجته وبين ابنته .. فقد بذل قصارى جهده لكى يقرب بينهما ، وحاول أن يجعل زوجته بمثابة أم لـ (لهدى) ، وأن يجعل (هدى) بمثابة ابنة لها ، ولكنه

فشل فى ذلك .. فقد استمر التوتر والشعور بالبغض قائمًا بينهما منذ بداية زواجه ، وأقصى ما استطاعه هو العمل على تهدئة هذه العلاقة المتوترة ، كلما احتدمت الأمور بينهما .

كما أنه ليس مسئولًا عن أن حظها من الجمال كان قليلًا ، بعكس أختها الصغرى ، التى ورثت الكثير من جاذبية وجمال أمها ، وتفوقت عليها فى شبابها.

وهو ليس مسئولًا عن مرضها وحالتها النفسية ، وإحساسها بالاكتئاب والاضطهاد .. وأشياء كثيرة أخرى .

لقد بذل قصارى جهده للعناية بها ، على نحو لا يقل عن أختها .. لقد تلقت نفس التربية والتعليم ، ونفس الحق فى اختيار الكلية التى تناسبها .. وأدى واجبه نحوها حينما مرضت .. فلم يكتف بعلاجها فى (مصر) ، وإنما أرسلها إلى أفضل مصحة علاجية متخصصة ، لعلاج حالات مثل حالتها . فى (سويسرا) .

وظل يردّد لنفسه قائلًا :

ـ نعم .. لقد قمت بواجبى نحوها على أكمل وجه ، وما يحتمه علىّ دورى كأب ، وليس هناك مايدعونى إلى الإحساس بالذنب تجاهها ..

ولكنه ما لبث أن توقف أمام باب غرفتها ، وهو يرد على نفسه قائلًا :

- ولكن ربما كان الشىء الوحيد الذى لم أمنحه لها ، والذى أعترف بمسئوليتى عنه ، هو أننى لم أستطع أن أحبها ، بنفس القدر الذى أحب به ابنتى الصغرى .

إننى أؤدى واجبى نحوها كأب ، ووفقا للقواعد .. ولكن مشاعرى نحوها شىء آخر .. وأعتقد أن هذا أيضًا أمر لا حيلة لى فيه ، فنحن لا نملك مشاعرنا .

لابد أن أعترف أننى أرى ابنتى الكبرى مخلوقة بغيضة ... إنها دائمًا عليلة ، تثير الرثاء بأكثر مما تثير الإعجاب .

والشىء المؤلم حقًّا .. هو أننى أحيانًا أتمنى لو أننى لم أنجب هذه الفتاة الشاحبة السقيمة التى لا تثير بالنسبة لى سوى المتاعب ، ونظرات الرثاء فى عيون كل من نعرفهم .

بل إننى أتمنى أحيانًا ، لو كنت قد تزوجت من (دولت) ، متحررًا من مسئولية هذه الفتاة ومشاكلها .. وكان يكفينى الفتاة الأخرى التى منحتها لى ، فهى منذ نعومة أظفارها موضع إعجاب واهتمام الجميع ..

جميلة دائمًا .. تفيض حيوية .. ومرحًا .. ولا تسبب الكثير

من المتاعب ، اللهم فيما يتعلق بتحررها الزائد فى بعض تصرفاتها .. وإحساسها الدائم بأنها فتاة المنزل المدللة .

ولكن هذا على أى حال ، أهون بكثير من ذلك الوجه العبوس المكتئب ، وإثارة المشاكل لأتفه الأسباب .

لابد أن أعترف بأننى أحب (شيرين) بأكثر مما أحب (هدى) ، برغم محاولتى التظاهر بغير ذلك .. وبرغم أننى أحاول أن أساوى بينهما فى المعاملة .. بل أتظاهر أحيانًا أمام زوجتى بأننى أفضل الابنة الكبرى عن الصغرى ، لكى لا أمنحها الفرصة فى التمادى فى إساءة معاملتها.

وأعتقد أن هذا هو السبب الحقيقى ، فى إحساسى بالذنب تجاه (هدى) .

وفتح (عبد القادر) باب الغرفة بهدوء ، وهو يتطلع إلى الداخل .. ووجد (هدى) جالسة فوق فراشها ، وقد ضمت ركبتيها إلى صدرها ، وأحاطت ساقيها بساعديها ، فاقترب منها هامسًا :

- (هدى) .. أما زلت مستيقظة ؟

قالت وقد ارتكزت بذقنها على ركبتيها :

- لقد نمت ساعة واحدة .

أضاء (عبد القادر) (الأباجورة) المجاورة

لفراشها ، قائلا وهو يجلس بجوارها .

ـ ولكن ساعة واحدة لا تكفى قط ، وخاصة بعد عناء السفر .. أتدرين كم الساعة الآن ؟

قالت دون أن تنظر إليه :

ـ أعلم أنها قد تجاوزت الثالثة صباحًا .. ولكن (شيرين) ما زالت مستيقظة أيضًا .. أليس كذلك ؟

الفرق الوحيد هو أنها بين أصدقائها ومدعويها ، تتلقى تهانى عيد ميلادها ، أما أنا .. فكما ترى أجلس وحدى .. أترقب وصولك ، وأتساءل : أكان العمل الذى خرجت من أجله مهمًا ، إلى هذا الحد الذى يجعلك تستقبل ابنتك هذا الاستقبال الفاتر وتتركها تصعد إلى غرفتها بمفردها ، دون أن تحاول حتى أن تسألها عن صمتها ، وتطمئن عليها .. وبعد غياب شهور طويلة قضتها بعيدًا عنك ، وفى بلاد غريبة ؟!

قال محاولًا تخفيف الأمر عنها :

ـ لقد قدرت أنك متعبة بعد عناء السفر ، وبحاجة إلى بعض الراحة .. وكان لابد لنا أن نتحدث معًا بالطبع ، عن النتيجة التى وصلت إليها بعد علاجك ، وعن كافة الأمور المتعلقة بك .

كما أننى تلقيت تقريرًا علاجيًا مطمئنًا للغاية من

المصحة التى كنت تعالجين فيها فى (سويسرا) ، وأعرف أنك قد تحسنت كثيرًا .

أدارت وجهها وهى تصيح بانفعال :

ـ كفاك أعذارًا واهية .. إنك لا تحبنى ، وأنا أعرف ذلك .

وكأنما قد مسّت وترًا حساسًا فى نفسه ، إذ ظلّ يحدق فيها لبرهة صامتًا .. ثم قال :

ـ كيف تقولين ذلك ؟ إنك تعرفين مدى حبى لك ..فأنت ابنتى ، ومشاعرى نحوك يجب ألا تكون محل شك من جانبك .

ثم لو لم أكن أحبك وأهتم بك .. فلماذا سعيت إلى علاجك فى أفضل المصحات العلاجية فى العالم ؟ كان يمكننى الاكتفاء بدفع نفقة طبيب متخصص هنا ، أو إدخالك أى مصحة علاجية فى (مصر) .. أليس كذلك ؟

قالت بلهجة تهكميّة :

ـ على كل حال أشكرك ياأبى العزيز على اهتمامك بى على هذا النحو .. وإن كنت أعرف أن مصاريف علاجى فى تلك المصحة لا تساوى شيئًا بالنسبة لرجل ثرىّ مثلك ، ورث ثروة طائلة عن أبيه وعن أمى المتوفاة ، لقد أديت واجبك على كل حال .. ولكنى أظن أنك أرسلتنى إلى تلك

المصحة البعيدة فى (سويسرا) لسبب آخر ، وهو أنك أردت أن تتخلص منى ، ومن المتاعب التى أسببها لك .. بل ربما تمنيت أن أبقى هناك وألا أعود مطلقًا .

قال لها الأب بضيق :

ـ ليتك تتوقفين عن ترديد مثل هذه الكلمات .

قالت فى إصرار :

ـ إذن هل تفسر لى .. كيف نسيت موعد خروجى من المصحة ؟ وأنه كان يتعين علىّ العودة منذ ثلاثة أيام مضت ؟

أبى هل تعرف أننى اضطررت أن أستدين ، لكى أكمل ثمن تذكرة عودتى إلى (القاهرة) فى الوقت الذى ظننت فيه ، أنك ستأتى بنفسك لتصحبنى إلى بلدى ، وتبدى قدرًا من الاهتمام ، فى سؤال أولئك الأطباء والمتخصصين ، اللذين تولوا رعايتى فى المصحة ، عن الفترة التى قضيتها هناك ، وعن كل ما يتعلق بى من أمور ، دون الاكتفاء بالتقرير الذى أرسلته المصحة ؟

قال منفعلًا :

ـ لقد أخبرتك من قبل أن مشاكل العمل أنستنى موعد حضورك .

ازدادت ملامحها حدة وهى تقول :

ـ أنستك ابنتك .. ابنتك المريضة .. لكنها لم تنسك على أية حال عيد ميلاد ابنتك الصغرى .

الأب :

ـ (دولت) هى التى تهتم بمثل هذه الأمور التافهة .

(هدى) :

ـ لا أعتقد أنك تنظر إليها على أنها أمور تافهة بأى حال من الأحوال ، بدليل أنك لم تنس أن تحضر تلك الهدية القيمة لـ (شيرين) .

الأب :

ـ أكنت تريدين منى ألا أقدم هدية لابنتى فى عيد ميلادها ؟

(هدى) :

ـ بل كنت أتمنى لو تذكرت عيد ميلادى ، الذى مرَّ علىَّ منذ أربعة أشهر وأنا وحيدة فى تلك المصحة العلاجية .. ولو حتى بكارت تهنئة أو باتصال تليفونى تقولى لى فيه : كل سنة وانت طيبة .

الأب :

ـ أعترف أننى كنت مقصرًا معك فى ذلك .. وأعتذر عنه .

(هدى) :

ـ هناك أشياء لا يفيد الاعتذار عنها ياأبى .
قال لها بغضب :
ـ ماذا تنتظرين منى أن أفعل اذن ؟
(هدى) :
ـ لاشىء .. أشكرك على كل حال لاهتمامك بعلاجى ، وإرسالى لتلك المصحة .. ولكنى أعتقد أننى سأضطر إلى العودة إليها مرة أخرى ، فما زالت بعض الأعراض السابقة تعترينى من آن لآخر .
قال والدها :
ـ ولكن تقرير المصحة يفيد تحسن حالتك ، وتقدم صحتك على نحو كبير .
ردت عليه قائلة :
ـ نعم لقد تحسنت حالتى .. ولكنى لم أشف تمامًا .. لو كنت قد تحدثت مع الطبيب المختص لأخبرك بهذا .
الأب :
ـ إنهم يشيرون فى تقديرهم إلى أن جزءًا كبيرًا من الشفاء يتوقف عليك ، وعن البعد عن التوتر ، وعن الانفعالات النفسية .
(هدى) :
ـ أعتقد أننى لن أنجح فى ذلك طالما أنا هنا .

وربت الأب على كتفها بحنان قائلا :
ـ لماذا يا بنيتى ؟ ما الذى يضايقك من وجودك بيننا هنا ؟
أجابته قائلة :
ـ لا أدرى .. أعتقد أنه لم يعد لى مكان بينكم هنا .
تألم أبوها لقولها هذا قائلًا :
ـ كيف تقولين هذا ؟ إننى أبذل قدر جهدى لإسعادك ورعايتك ، هل هى ذى (دولت) التى تجعلك تكرهين هذا المكان ؟ .. ربما كانت (دولت) جافة بعض الشىء فى تعاملها معك .. ولكن أنت أيضًا تعاملينها بجفاء شديد ... والأمور لم تتطور بينكما إلى الحد الذى يستحيل معه أن تتعايشا معًا .
وصمت برهة ليتلقى منها ردًا على ما قاله ، ولكنها لم تقل شيئًا .
فعاد ليقول :
ـ هل تغارين من أختك الصغرى ؟
وحدجته بنظرة صامتة دون أن تحر جوابًا ، فقال :
ـ ليتك تخبريننى ماالذى يجعلك تنقمين علينا هكذا ؟
ولما استمرت فى صمتها سألها قائلًا :
ـ أتريدين حقًا أن تعودى إلى هذه المصحة ؟

انخرطت فجأة فى بكاء شديد ، وهى تلقى برأسها على صدره مرددة .

ـ كلا ... كلا يا أبى .. إننى أريد أن أكون معك هنا ، فقد كرهت الوحدة التى قاسيتها فى تلك المصحة .. أريد أن أبقى بجوارك ، أن أحس عطفك وحنانك ... ولكنك غير موجود بالنسبة لى دائمًا ، فوقتك موزع بين عملك وأسرتك .

قال وهو يمسح على شعرها بيده فى حنان :

ـ أسرتى .. هى أسرتك يا (هدى) .

قالت معترضة :

ـ كلا .. إننى لم أشعر أبدًا أن زوجتك وابنتك الأخرى بمثابة أسرة لى .

هبّ واقفًا وهو يقول بغضب :

ـ زوجتى يجب أن تكون بمثابة الأم بالنسبة لك .. وتلك التى تدعينها ابنتى الأخرى هى أختك ، ويجب أن تتحدثى عنها بهذه الصفة .

قالت وكأنها لا تأبه بانفعاله :

ـ إنك تهتم بها دائمًا أكثر منى .. وإذا كنت قد أخطأت فى تسميتها بابنتك الأخرى ، فإننى أعتذر عن خطئى .. فهى فى الحقيقة ابنتك الحقيقية .. أما أنا فلست سوى

مسئولية ثقيلة ملقاة على عاتقك .

صاح قائلًا :

ـ كفاك حقدًا وغيرة من أختك الصغرى .. إذا كنت أكثر اهتمامًا بها ، فذلك لأنها خالية من كل هذه العقد التى تحملينها فى نفسك .. وإذا أردت الحقيقة فأنت بالفعل مسئولية ثقيلة ملقاة على عاتقى .

نظرت إليه (هدى) للحظات فى ذهول ، وهى تتلقى كلماته هذه .. ثم مالبثت أن دفنت وجهها بين ركبتيها وأجهشت بالبكاء .

وحملق فيها الأب بدوره ، وقد أدرك مدى القسوة التى تحدث بها إلى ابنته ، وأحسَّ بالندم على ما قاله فهتف قائلًا :

ـ يا إلهى ..ماذا قلت ؟ إنك تدفعين المرء إلى الخروج عن شعوره ، ثم اقترب منها محاولًا وضع يديه على كتفيها .. ولكنها باعدت كتفيها عن يديه قائلة من خلال نحيبها :

ـ أرجوك .. لا تلمسنى .

قال معتذرًا :

ـ (هدى) .. إياك أن تظنى أن ما قلته الآن كنت أعنيه حقًّا .. إنه كلام أب خرج عن شعوره للحظات .. وعلى كل

حال فأنا آسف على ماقلته .

(هدى) :

ـ ليس هناك ما يدعوك إلى الأسف.. إن ما قلته لا يعبر سوى عن حقيقة شعورك نحوى .

وأمسك برأسها ليضعها على صدره قائلا ، وهو يحاول أن ينفى عن نفسه ذلك :

ـ كلا ياابنتى .. كلا ..لا يمكنك أن تظنى فىَّ ذلك .. أنت فى النهاية ابنتى وأنا أحبك كثيرًا .

قالت من خلال نحيبها :

ـ وأنا أيضًا أحبك كثيرًا .. بالرغم من كل شىء .. بالرغم من زوجتك التى تكرهنى .. وبالرغم من أن أختى الصغيرة التى تعاملنى دائمًا كما لو كنت أقل منها فى كل شىء .. وبالرغم من أنك لا تحبنى بقدر ما أحبك ..

ودفنت رأسها فى صدر ..

وأجهشت مرة أخرى بالبكاء .

★ ★ ★

٣ ـ الصديقة الغائبة ..

فتح الخادم ليستقبل تلك السيدة الأنيقة التى سألته قائلة :

ـ هل (دولت) هانم موجودة ؟

سألها الخادم :

ـ نعم .. ماذا نبلغها ياسيِّدتى ؟

قالت وهى تجتاز عتبة الباب :

ـ قل لها ..

ولكنها لم تكمل عبارتها .. بل استدركت قائلة :

ـ من الأفضل ألا تخبرها .. أريد أن أجعلها مفاجأة .. أخبرها فقط أن صديقة قديمة جاءت لزيارتها .

اقتادها الخادم إلى غرفة الاستقبال الفسيحة ، حيث جلست فى انتظارها ، وأخذت تتأمل المكان حولها فى شىء من الغيرة والحسد .

وبعد قليل حضرت (دولت) إلى غرفة الاستقبال ، وهى تتساءل عمن تكون هذه الصديقة القديمة التى حضرت لزيارتها .

ولكن ماإن رأتها حتى هتفت قائلة :

ـ (سوسن) غير معقول !

وتعانقتا فى حرارة ، ثم سألتها (دولت) :
- متى حضرت من (لندن) ؟
قالت (سوسن) وهى تجلس فوق أحد المقاعد بطريقة لا مبالية :
- منذ أسبوع .
قالت (دولت) بعتاب :
- أنت هنا فى (القاهرة) منذ أسبوع ، ولم تفكرى فى زيارتى إلا اليوم أيتها الخائنة .
(سوسن) :
- صدقينى .. أنت أول صديقة أزورها منذ عودتى من (لندن) .
قالت (دولت) بدهشة :
- ولكن ما الذى جعلك تبكرين بالعودة هكذا ؟ لقد سافرت منذ أربعة أشهر فقط .. وكان من المنتظر ألا تعودى إلا فى نهاية العام .
(سوسن) :
- اضطرتنى الظروف لذلك ..
(دولت) :
- أية ظروف ؟.. وأين (طارق) زوجك ؟
(سوسن) :

- لقد انفصلنا .. وهذا سبب عودتى إلى (القاهرة) .
ازدادت دهشة (دولت) وهى تنظر إلى صديقتها قائلة :
- انفصلتما ؟! هل تعنين أن (طارق) قد طلقك ؟
(سوسن) :
- نعم .
(دولت) :
- ولكن لماذا ؟ لقد كان من الواضح لكل من يراكما قبل سفركما أنكما تذوبان حبًا فى بعضكما .. ما الذى حدث ؟
(سوسن) :
- لا شىء .. لقد طلبت منه أن يطلقنى وأصررت على أن ينفذ ذلك خلال أربع وعشرين ساعة ، فاستجاب لى .
(دولت) :
- ما زلت لا أفهم .
(سوسن) :
لقد تبين لى بعد سفرنا إلى (لندن) أن هذا الرجل مدمن قمار.. إنه رجل أعمال حقيقى وله وزنه بلا شك .. ولكنه فى نفس الوقت مقامر من الدرجة الأولى .
هل تصدقين أنه خسر فى ليلة واحدة على مائدة القمار عشرين ألف جنيه استرلينى ؟

إنه فى طريقه لكى يبدد ثروته بالكامل .. وربما أنه قد أعلن إفلاسه بالفعل خلال الأيام الماضية .. فقد وقع بين براثن عصابة من الذين يديرون مثل هذه النوادى المشبوهة للقمار ، وهم ينوون استنزاف ثروته بالكامل .

ابتسمت (دولت) قائلة :

- وبالطبع قرّرت أن تنالى نصيبك من هذه الثروة قبل ضياعها ، فلديك مؤخر الصداق الكبير .. وشقة الزمالك . وكل تلك الأشياء الثمينة التى أحضرها لك ، وفضلت الاحتفاظ بها فى البنك قبل سفرك .. فرأيت أن تهربى بما أمكنك الحصول عليه ، قبل أن تفقدى كل شىء ، وتواجهى معه كارثة الإفلاس .. فأنت امرأة ذكية وتعرفين دائمًا متى تنسحبين فى الوقت المناسب ، دون خسائر .

ابتسمت (سوسن) قائلة بلهجة تدل على الخبث :

- ألن تتوقفى عن التفكير فىّ بهذه الطريقة ؟ هل كنت تتصوّرين أننى سأستمر فى الحياة مع المقامر ؟

(دولت) :

- كلا بالطبع .. ولكن كان يمكنك على الأقل أن تبذلى بعض الجهد لإصلاحه .. فربما أدى هذا إلى استمرار الحياة بينكما .

(سوسن) :

- لم يكن هذا ممكنًا صدقينى .. القمار يجرى فى دم هذا الرجل .

(دولت) :

- لابد أنك كنت تعرفين شيئًا عن هذا قبل زواجك منه .

(سوسن) :

- نعم .. ولكننى لم أكن أعرف أن هذا الداء متمكن منه على هذا النحو .

(دولت) :

- ولكن من الغريب ألا يبدو عليك الاكتراث بما حدث . برغم الحب الذى ظننته قائمًا بينكما .

(سوسن) :

- من الصعب على امرأة مثلى أن تحب مقامرًا .

ضحكت (دولت) قائلة :

- خاصة إذا كانت تحب النقود مثلك .. إننى أقدر كم كنت تتألمين وأنت ترينها تتبخّر على مائدة القمار بيد زوجك .

نظرت إليها (سوسن) بمكر قائلة:

- ها قد عدنا مرة أخرى إلى تلك اللمزات الخبيثة .

قالت (دولت) بجدية :

- ولكن هذا هو الزوج الرابع (ياسوسن) .. ألم يحن

الوقت بعد للاستقرار فى كنف رجل تعيشين معه بقية حياتك ؟. إن العمر يتقدم بنا يا(سوسن) ، ولن يمكنك استغلال جمالك دائمًا فى إيقاع الرجال الأثرياء فى شباكك ، لتحصلى فى النهاية على نقودهم .. ثم يقول كل منكما للآخر وداعًا .

قالت (سوسن) وقد بدى فى عينيها لمسة من الحزن :

ـ إنك أقرب صديقة لى .. وتعرفين جيدًا أنه لست أنا التى قلت هذه الكلمة عندما تزوجت لأول مرة .

كان حبى الحقيقى لزوجى الأول ، وكنت أرغب حقًّا وبكل إخلاص فى زواج مستقر ودائم ، لا ينهيه سوى الموت .. ولكنه غدر بى وطلقنى بعد كل كلمات الحب التى أسمَعَها لى .. وكل الأحلام والوعود التى خدعنى بها .

لقد رحل عنى .. بدون حتى كلمة وداع .

قالت لها (دولت) بتعاطف حقيقى :

ـ ولكن حذار يا (سوسن) .. إذا كنت تظنين أنك بممارسة لعبة الزواج والطلاق .. والاستيلاء على أموال أزواجك على هذا النحو تنتقمين وتردين على فشلك فى زواجك الأول .. فأنت لا تنتقمين إلا من نفسك .

ضحكت (سوسن) بحرارة قائلة :

ـ لا .. ليس الأمر على النحو الذى تصورينه .. كل

ما هنالك أننى هوائية ومندفعة بعض الشىء ، كما تعرفيننى ، وهذا ما يجعلنى لا أحسن اختيار أولئك الرجال الذين أرتبط بهم ، وسرعان ما يتبين لى ذلك بعد عدة أشهر أو عدة سنوات من الزواج ، وبالتالى لا أجد مايبرر استمرارى فى زيجة محكوم عليها بالفشل ، فأبادر بإنهاء الأمر .. خاصة أنه لا يوجد أطفال .

وبما أننى برغم اندفاعى وتهورى أحيانًا ، أمتلك عقلية عملية أيضًا ، فإننى لا أجعل فشلى كاملًا .. فلابد أن أجنى بعض المكاسب من وراء هذه الزيجات التى لم يكتب لها النجاح .

قالت لها (دولت) بخبث :

ـ لذا فأنت تحرصين على أن تختارى أزواجك دائمًا من الأثرياء والموسرين ، وتتعمدين أن تضعى شروطًا مسبقة تحسبًا لتحقيق هذه الأرباح فى المستقبل .

قالت لها (سوسن) وهى تتصنع الغضب :

ـ ألن تتوقفى عن هذه التلميحات ؟

قالت لها (دولت) ضاحكة :

ـ حسن .. حسن .. سأتوقف .. ولكن نصيحة أخيرة من صديقتك ، عليك أن تسعى لزواج ناجح فى المرة القادمة . وتضعى نصب عينيك أن تستمرى مع الشخص

الذى تختارينه .. لامع نقوده .. فهذا ما يمنحك الأمان الحقيقى .

قالت لها (سوسن) بخبث متبادل وهى تتأمل المكان حولها :

- إننى أرى كيف نجحت فى ذلك ؟.. فقد استمر زواجك حتى الآن عشرين عامًا كاملة .. وقد أحسنت اختيار الرجل الذى تزوّجته بالفعل .

(دولت) :

- أأعُدّ هذا حسدًا من جانبك .

(سوسن) :

- أنت تعرفين مدى صداقتى لك . وأننى لا يمكن أن أحسدك .. ولكننا أصدقاء منذ الصبا .. وأنا أيضًا أعرف مدى شغفك منذ سنوات صداقتنا الأولى بالمال والمظاهر .

لقد كنت أنت هذه الفتاة وقتها لا أنا .. ولذا جاء اختيارك لزوجك الأول مبنيًا على هذا الأساس .. فقد كان رجلًا ثريًا برغم تقدمه فى العمر بسنوات كثيرة عنك .. واخترتِهِ لثرائه قبل أى شىء آخر .. بل وفضّلته على ذلك الشاب الذى كان يحبك أيامها .

أليس هذا صحيحًا أم أن الذاكرة قد خانتنى ؟

(دولت) :

- بل صحيح .. ولكننى لم أسع مثلك وراء نقودة فقط .. لم يكن المال هو كل هدفى .. فقد حافظت على زواجى معه .. وكنت حريصة على استمراره .. لولا أن قضاء الله نفذ بعد عامين فقط من زواجنا .

(سوسن) :

- وورثت منه قدرًا من المال لا بأس به .

قالت (دولت) بحدة :

- ولكن المال لم يكن هدفى من زواجى الأول .. إننى أكرر هذا ، وأنت تعرفينه جيدًا .

(سوسن) :

- ولكنه لم يكن الحب أيضًا هو الدافع وراء هذا الزواج .

قالت (دولت) وهى مستمرة فى حدتها :

- بل الاستقرار .. الاستقرار المادى والاجتماعى .. فأنت تعرفين حياة الفقر التى كنت أحياها قبل زواجى الأول .. الحب وقتها كان بالنسبة لى ترفًا لا مجال له بالنسبة لفتاة مثلى .

قالت (سوسن) بلهجة ذات مغزى :

- وزواجك من (عبد القادر) رجل الأعمال الثرى .. أكان دافعه الفقر أيضًا والبحث عن الاستقرار المادى

والاجتماعى .. أم الطمع ؟
(دولت) :
- قد لا تصدقيننى .. ولكننى أحب (عبد القادر) .
قالت (سوسن) وهى تتأمل المكان حولها بلهجة ساخرة :
- ولماذا لا أصدقك ؟ الرجل الذى يوفر لزوجته كل هذه الرفاهية يستحق أن يُحَب .
(دولت) :
- لا فائدة من التحاور مع امرأة مادية .
(سوسن) :
- إننا فى النهاية متشابهتان فى ذلك يا صديقتى العزيزة ، ولا تستطعين أن تنكرى ذلك .. على كل حال دعينا نغير الموضوع .. إننى أرى أنك قد غيرت ديكور منزلك .
(دولت) :
- أنت تعرفين أنى أعشق التغيير .. قولى لى حقيقة .. ألا يعد هذا الديكور الذى أجريته فى المنزل أفضل من سابقه ؟
(سوسن) :
- بكثير .. إنه أفضل من منازل كثيرة زرتها فى لندن ..

يبدو أن الأمور ميسرة للغاية بالنسبة لأعمال زوجك .
(دولت) :
- الحمد لله .. إن (عبد القادر) يحرز نجاحًا فى عمله ..
(سوسن) :
- وماهى بقية أخبارك الأخرى ؟
قالت بمرح :
- ماهذا ؟.. هل تريدين أن تحصلى على كل أخبارى هكذا مرة واحدة ؟ إن الأمر سيحتاج منا بلا شك لعدة جلسات .
(سوسن) :
- وتلك الفتاة الرائعة الجمال التى أنجبتها ؟
(دولت) :
- تقصدين (شيرين) .. لقد ازدادت سحرًا وجمالًا عما تركتهَا .. العيون تطاردها أينما ذهبت .. ليتك كنت هنا الأسبوع الماضى .. لقد كان عيد ميلادها يوم الأربعاء ، وأقمنا لها حفلًا رائعًا شاركها فيه العديد من أصدقائها .
(سوسن) :
- إن هذا من سوء حظى .. فأنت تعلمين كم أحب هذه الفتاة .

(دولت) :
ـ إنها ستسر بلا شك بعودتك .. فهى أيضًا تحبك للغاية .
(سوسن) :
ـ إذن فأحوالك مزدهرة وعلى خير ما يرام .
(دولت) :
ـ هناك شىء واحد فقط يفسد علىَّ سعادتى وينغص على حياتى .
نظرت إليها (سوسن) بدهشة قائلة :
ـ وما هو ؟
قالت (دولت) وقد بدت فى عينيها ملامح الكراهية :
ـ إنها تلك الفتاة الكئيبة المتعالية .. ابنة (عبد القادر) .
(سوسن) :
ـ تقصدين (هدى) .. ألا تقيم هذه الفتاة فى مصحة علاجية (بسويسرا) ؟
(دولت) :
ـ لقد عادت الأسبوع الماضى .. وهل تعرفين متى عادت ؟.. فى نفس الليلة التى كنا نحتفل فيها بعيد ميلاد (شيرين) .. عادت كما هى بعقدها النفسية وأحقادها

القديمة .. اختارت هذه الليلة بالذات لتفسد علينا بهجتها .. ويبدو أنها تعمدت اختيار ذلك التوقيت بالذات من أجل ذلك.
(سوسن) :
ـ أما زلت على خلاف مع هذه الفتاة المريضة ؟.. ولكن ما الذى يمكن أن تسببه لك من ضرر هذه الفتاة المسكينة ؟
(دولت) :
ـ لا تقولى مسكينة .. إنها فتاة حقود .. لا يأتى من وراءها سوى المتاعب .
(سوسن) :
ـ لا تنسى أنها أخت ابنتك وابنة زوجك .
(دولت) :
ـ وكيف يمكننى أن أنسى ، ووجهها السقيم يذكرنى دائمًا بذلك .. لقد كانت الأمور تسير بينى وبين عبد القادر على مايرام ، منذ أن سافرت إلى تلك المصحة ، ولكن ما إن عادت حتى بدأ كل شىء يتبدل مرة أخرى .. وزادت حدة الخلاف بيننا .
(سوسن) :
ـ لابد أنك تعاملينها بطريقة سيئة .
(دولت) :
ـ هى التى تضطرنى أحيانًا إلى ذلك .. فهى تكرهنى ،

وأرى ذلك واضحًا فى عينيها إنها تثير أعصابى دائمًا .. خاصة عندما يحلو لها أن تضطلع بدور الفتاة المسكينة العليلة ، للتأثير على أبيها واستدرار عطفه وشفقته .

(سوسن) :

ـ ولكنكِ لا تستطعين أن تنكرى أنها مريضة بالفعل ، وتستحق الشفقة والعطف .

(دولت) :

ـ إن الأطباء شخَّصوا مرضها على أنه نفس الدرجة الأولى .. وهذا بسبب تلك الأحقاد والعقد التى تسكن فى صدرها نحونا .. كما أنها تبالغ فى دور الفتاة المريضة أحيانًا .

لاتستطيعين أن تتصورى كيف أن اضطرارى إلى الإسراف فى مجاملتها وإظهار الود نحوها لإرضاء أبيها ، يكون دائمًا على حساب أعصابى .

ولكن ماذا أفعل ؟ إننى مضطرة لذلك فى كثير من الأحيان ، حتى لا أتهم بتلك التهم التى يلقونها دائمًا على زوجة الأب .

ومن الغريب أنه نادرًا ما يلقى أحدهم بالذنب على ابنة الزوج .. خاصة إذا كانت من طراز فتاة كهذه .

وفى تلك اللحظة دخل (عبد القادر) إلى قاعة الاستقبال ..

حيث اتجه مسرعًا نحو السلم الداخلى للفيلا ، صاعدًا درجاته إلى الطابق العلوى :

ولكن زوجته نادته قائلة :

ـ (عبد القادر) .. ألا تأتى لتحية (سوسن) ؟

وكان هذا آخر ما يرغب فيه .

★ ★ ★



٤ ـ محرومة من الحب ..

صافح (عبد القادر) صديقة زوجته قائلًا :
ـ أهلًا مدام (سوسن) .. متى حضرت من (لندن) ؟ وأين (طارق) بك ؟
قالت (سوسن) ضاحكة :
ـ تلك قصة طويلة .. سأرويها لك فيما بعد .. فأنت فيما يبدو متعجِّل .
قال وهو ينظر فى ساعته :
ـ إننى متعجِّل بالفعل .. فقد جئت لإحضار بعض الأوراق والعودة بها إلى المكتب مرة أخرى .
قالت (دولت) شاكية :
ـ أرأيت .. أنه فى عجلة من أمره .. هكذا دائمًا . حتى أنه لايعرف كيف يجامل ضيوفه .
أسرعت (سوسن) تقول فى لباقة :
ـ كان الله فى عونه ، فزوجك لديه العديد من المسئوليات .. ثم إننى لست ضيفة .
(عبد القادر) :
ـ قولى لها .. فهى لا تقدر ظروفى مطلقًا .
ثم تلفت حوله قائلًا :

ـ ولكن أين البنتان ؟
(دولت) :
ـ (شيرين) فى النادى .. و(هدى) فى غرفتها .
(عبد القادر) :
ـ سأصعد لأراها .
ولكن (هدى) نادته قائلة ، وهى تهبط فى درجات السلم :
ـ إننى قادمة يا أبى :
حيَّتها (سوسن) بحرارة قائلة :
ـ (هدى) .. أوحشتنى جدًا يا حبيبتى .. حمدًا لله على سلامتك .
صافحتها (هدى) ببرود قائلة :
ـ أهلًا طنط (سوسن) .
وسألها والدها وهو يتمعَّن فى وجهها بقلق :
ـ لماذا يبدو وجهك شاحبًا هكذا ؟
قالت (هدى) بسخرية تمتزج بالمرارة :
ـ إنه هكذا منذ عدة سنوات .
قال لها (عبد القادر) دون أن يفارقه قلقه :
ـ كلا .. إننى أراه اليوم وقد ازداد شحوبًا .. سأتصل بالطبيب ليأتى ويفحصك .

ابتسمت (سوسن) قائلة :

- أتريد أن توهم البنت يا (عبد القادر) بك .. أين هذا الشحوب ؟ إن وجهها نضر كالتفاحة الطازجة .

قالت (هدى) بجفاء :

- أشكرك على هذه المجاملة يا طنط .. وإن كانت فى غير محلها .. فلا علاقة لوجهى مطلقًا بالتفاح النضر .

ونظرت إلى أبيها قائلة :

- وعلى كل حال ليس هناك ما يدعو لاستدعاء طبيب .. فيبدو أننى قد سهرت كثيرًا بالأمس وهذا ما زاد وجهى شحوبًا ، سأعود إلى غرفتى لكى أحصل على قسط وافر من النوم .

انفعلت (دولت) قائلة فى غيظ :

- ما هذه اللهجة السخيفة التى تتحدثين بها .. أمِنَ اللياقة والأدب أن تردى على مجاملة رقيقة ممن هنَّ أكبر منك بهذه اللهجة التى تخلو من الذوق ؟!

قالت لها (سوسن) محاولة التغلب على حرج الموقف :

- إنها لم تقل شيئًا يستحق منك كل هذا يا (دولت) .

نظرت (هدى) إلى زوجة أبيها نظرة جافة ثم تجاهلتها قائلة لأبيها :

- سأصعد إلى غرفتى يا أبى .

ثم تركتهم متجهة إلى غرفتها .

وازداد انفعال (دولت) وهى تقول لزوجها :

- أرأيت الطريقة التى تتصرف بها ابنتك ؟ .. أرأيت بنفسك ردها على (سوسن) .. ونظرتها إلىّ ؟. لقد تركتنا حتّى بدون أن تلقى علينا التحية ، هل أتت من غرفتها لكى تتعب أعصابى وتنصرف ؟

قال (عبد القادر) محاولًا تهدئة الموقف :

- لا داعى لكل هذا الانفعال يا (دولت) .

صاحت وهى تكاد تصرخ فيه :

- لاداعى لكل هذا الانفعال يا (دولت) ؟! أهذا كل ما يمكنك قوله ، بدلًا من أن تعنف ابنتك ، وتوجه لها بعض اللوم على الأقل ، لتعرفها بهذه السخافة ؟!

(عبد القادر) :

- لا تنسى أنها مريضة .

استمرت فى حدّتها مرددة :

- مريضة .. مريضة .. هل ستبقى هذه هى الحجة التى تبرر لها ارتكاب جميع الأخطاء ؟

إنها لم تعد مريضة .. لقد وفرت لها أفضل علاج فى

أفضل مصحة علاجية فى العالم .. وانتهى الأمر بالنسبة لمرضها .

وتصرفاتها هذه لا علاقة لها بالمرض .. إنها فتاة معقدة مليئة بالحقد والكراهية .. هذا كل ما فى الأمر .

احتد (عبد القادر) وهو يصيح فى زوجته لينبهها قائلًا :

- (دولت) .

قالت لهما (سوسن) وقد ازداد حرجها :

- ليس هناك ما يدعو لكل هذا ..

تداركت (دولت) نفسها وقد رأت نظرة الغضب فى عينى زوجها .. فقالت لصديقتها شاكية :

- أرأيت يا (سوسن) .. إنه يعاملنى على هذا النحو دائمًا ، كلما لفتُّ نظره لأحد تصرفات ابنته المستهجنة .

قالت (سوسن) وهى تربت على كتفها :

- أنت أيضًا عصبية بعض الشيء .. يجب أن تفسحى صدرك أكثر من هذا للبنت .. فأنت تعرفين ظروفها .

قالت (دولت) وهى تتصنع الدهشة :

- أكثر من هذا ؟.. إننى أبذل كل جهدى لكى أقربها منى .. ولكنها تصدنى دائمًا .. وترفض أن تجعلنى أمًا لها .

توجهت (سوسن) بالسؤال إلى (عبد القادر) قائلة :

- قل لى يا (عبد القادر) بك .. ماالذى وصلت إليه حالتها الصحية حقًّا ؟

(عبد القادر) :

- لقد تقدمت كثيرًا من الحالة العضوية . ولكنى أعتقد أنها ما زالت بحاجة لبعض العلاج النفسى .

(سوسن) :

- هل استعنت بطبيب متخصص ؟

(عبد القادر) :

- إننى فى سبيلى لذلك .. وإن كان الأمر يحتاج لبعض الوقت .. فالبنت تظن أنها شفيت تمامًا .. وإذا ما أخبرتها إنها ما زالت بحاجة للعلاج النفسى .، فقد يصدمها ذلك . ويجعلها تعاند فى الامتثال لذلك النوع من العلاج .

إن (هدى) حسَّاسة للغاية ، وتحتاج لبعض الفهم والتقدير .

ونظر إلى زوجته نظرة ذات مُغزى مستطردًا :

- وعلى الجميع أن يدركوا ذلك .

قالت (سوسن) :

- أعتقد أن (هدى) بحاجة إلى ما هو أكثر من العلاج العضوى أو النفسى ، إن حاجتها الحقيقية للحب .

نظر إليها (عبد القادر) بتمعن مرددًا :
ـ الحب ؟!
(سوسن) :
ـ نعم .. فتاة مثلها بحاجة للحب والحنان والزواج .. بحاجة لمن يبادلها عاطفة حب حقيقية .
(عبد القادر) :
ـ ربما أن ظروف عملى لا تتيح لى أن أكون قريبًا دائمًا منها .. ولكنى لا أبخل عليها مطلقًا بحبى وحنانى كأب .
(سوسن) :
ـ إننى لا أقصد حب وحنان الأب .. إنها بحاجة إلى نوع آخر من الحب ، هل تفهمنى يا (عبد القادر) بك ؟
قالت (دولت) ساخرة :
ـ هل تقصدين علاقة عاطفية ؟ أترين فى هذه الفتاة ما يشجع أى شاب على أن يحبها أو يفكر فى الاقتران بها .
حدج (عبد القادر) زوجته بنظرة صارمة .. ثم قال وقد بدأ صبره ينفد :
ـ إننى عائد إلى عملى .
ثم التفت إلى (سوسن) قائلًا دون أن يجيب بشىء على نصيحتها :
ـ بعد إذنك .. أرجو أن نلتقى قريبًا .

وبعد انصرافه التفتت (سوسن) إلى صديقتها قائلة :
ـ ماهذا يا (دولت) ؟ أين حكمتك وذكاؤك ؟ أتتحدثين عن الفتاة بهذه الطريقة أمام أبيها ؟
قالت (دولت) بعصبية :
ـ أرأيت نظرتها لى .. إننى لم أعد قادرة على تحملها أكثر من ذلك .
(سوسن) :
ـ إنك تتصرفين برعونة وطيش .. وأيًا كان الأمر ، لم يكن يتعين عليك أن تتحدثى عنها على هذا النحو أمام أبيها .. لقد جرحت مشاعره كأب وأنت تسخرين من ابنته بهذه الطريقة .
وفى تلك اللحظة دخلت الابنة الصغرى قاعة الاستقبال ، وهى تحمل معها مضرب تنس طاولة ، وما إن رأت (سوسن) حتى هللت :
ـ طنط (سوسن) .
فتحت لها (سوسن) ذراعيها لتستقبلها بين أحضانها وهى تقول :
ـ (شيرين) .. الحلوة .. الجميلة .
وفى منتصف الدرج كانت (هدى) واقفة وقد استمعت لجزء من الحديث الذى دار بين زوجة أبيها وصديقتها حولها .

فتساقطت العبرات فوق وجنتيها .. ثم اندفعت إلى غرفتها وهى تنتحب .

وما إن دخلتها حتى ألقت نفسها على الفراش وقد أجهشت بالبكاء .

إن ما قالته زوجة أبيها لا يعبر إلا عن الحقيقة .. لماذا إذن البكاء ؟ ولماذا الحزن والغضب ؟

أكل هذا بسبب حقيقة تعرفها جيدًا فى نفسها ؟!

إنها بالفعل فتاة تستحق السخرية .. أحيانًا يعاملونها بشىء من الشفقة والعطف ، وهذا أيضًا لا يقل مرارة عن السخرية منها .. بل إنه يبدو فى كثير من الأحيان أشد قسوة ومرارة على نفسها .

إن فى أعماقها كمًّا من التعاسة والألم يفوق بكثير آلامها الجسمانية ، ومرضها الذى حيَّر الكثير من الأطباء .

إنها تشعر باليأس وعدم الثقة بالنفس .. وهى لاتستطيع أن تنكر مشاعر الحقد والكراهية التى تكنُّها لزوجة أبيها ، برغم أن هذا شعور متبادل بينهما .

كما أنها لا تستطيع أن تنكر غيرتها من أختها الصغيرة الجميلة التى تستحوذ على إعجاب الجميع .. بينما هى لاتلقى سوى الشفقة والازدراء .

لقد حاولت كثيرًا أن تتخلص من كل هذه المشاعر

الكريهة التى تعتمل فى نفسها ، ولكنها لم تنجح فى ذلك .

لقد تملكها ذلك الشعور بالكراهية تجاه زوجة أبيها ، منذ اليوم الأول الذى وضعت فيه أقدامها داخل المنزل ، برغم أنها كانت لم تزل طفلة صغيرة ، لا تدرك حقيقة التحول ، الذى طرأ على حياتها وحياة أبيها ، منذ أن اقترن بهذه المرأة .

وازدادت هذه الكراهية ، عندما أنجبت (دولت) ابنتها ، وأحاطتها بكل هذا الحب والاهتمام ، الذى شاركها فيه أبوها .. ولم يعد أحد يحس بوجودها فى ذلك المنزل .

وكان هذا الإحساس يظهر فقط عندما تتلقى التأنيب والإهانات من زوجة الأب لدى أية هفوة صغيرة ترتكبها .

وكانت عيناها تخبرها دائمًا ، بأن وجودها فى هذا المنزل يُعَدّ عبئًا ثقيلًا ، وبأنها لا يحق لها أن تشارك تلك الوافدة الجديدة حق البنوَّة وحق الاهتمام والرعاية .

ومنذ صباها وهى تشعر بذلك الفارق الكبير بينها وبين أختها .

فهى لم تكن تتمتع فى أى وقت من الأوقات بأى قدر من الجمال والجاذبية .. بل كانت دائمًا تلك الفتاة العليلة ذات الوجه الشاحب .. ولكن ظهور أختها فى حياتها زاد من تعمق هذا الإحساس فى نفسها .. كما أن المقارنة التى كان

يعقدها الآخرون بينهما ، واستحواذها على اهتمام وإعجاب المحيطين بها كان يرسخ إحساسها بالنقص والغيرة ، ويزيد من مشاعر الحقد والكراهية .. لا لزوجة أبيها ولأختها فقط .. ولكن لنفسها أيضًا .. برغم ادراكها لخطأ ترك نفسها لهذه الأحاسيس تنهشها .

ولكنها بالفعل وحيدة بائسة .

إنها لم تشعر بشىء من العطف والحب الحقيقى منذ طفولتها .

لم تشعر بأنها موضع إعجاب واهتمام أى شاب خلال سنوات دراستها الثانوية أو الجامعية ، ومنذ أن تفتحت أنوثتها .

لقد كانت دائمًا تلك الفتاة المنطوية ، ذات الوجه الكئيب ، كما كان يحلو للبعض أن يسميها ، وكما سمعت بعضهم فى العديد من المرات وهو يتندر عليها بتلك الصفة .

وإذا كان والدها يشملها فى بعض الأحيان بشىء من العطف والاهتمام .. فهو يفعل ذلك بدافع الواجب ، أو ربما الشفقة بحالتها .. وقلة حظها من الجمال والحيوية التى تتمتع بهما أختها التى لا تفتقر أيضًا مثلها لحنان الأمومة .

كم سرح بها الخيال ، وتمنت فى أحلامها أن تلتقى بفتى الأحلام الذى يحبها ويهتم بها لذاتها .. وصورت لنفسها سعادة وهمية معه وهو يبثها حبه واشتياقه .

كم قضت من ليال طويلة ، تتصور هذا الشاب فى صور مختلفة .. بل تتصور نفسها وقد أصبحت موضع إعجابه واهتمام العديد من الشبان .. كل منهم يحاول أن يخطب ودها ، وهى تتعالى وتتدلل عليهم .. ولكنها فى النهاية تختار أحدهم ليكون زوجًا لها .. ثم يمتد بها الخيال إلى منزل صغير جميل ، وطفلين رائعين ، وحياة أسرية تحسدها عليها الأخريات .

هذه الخيالات لم تكن تفارقها منذ فترة المراهقة وحتى عامها الخامس والعشرين ، وكانت الشىء الوحيد الذى يمنحها الابتسامة ، ويجعلها تعيش بضعة لحظات فى سعادة وهمية .

ولكنها سرعان ما كانت تفيق من أحلامها وخيالاتها ، على واقعها البغيض ، لتعرف أن هذه السعادة ستبقى دائمًا وهمية ومحصورة فى خيالاتها .. وأن من كانت مثلها لا يحق لها أن تتطلع لحب وزواج وسعادة أسرية ، كتلك التى تعرفها الأخريات .

وأنها فتاة شقية .. عرفت منذ طفولتها اليتم ..

والمرض .. ومشاعر النقص ، وأنها ستبقى دائمًا محرومة من الحب الذى التى تتمناه .. ومن السعادة التى رسمها لها خيالها .

وعادت (هدى) تجهش بالبكاء مرة أخرى .. وهى تواجه نفسها بتلك الحقيقة التعسة التى تسلطت على تفكيرها .

الحقيقة القاسية .

★ ★ ★



٥ ـ فتاة منطوية ..

وقفت (دولت) أمام المرآة تتأمل فستان السهرة الذى ارتدته وهى تتفحصه من جميع الزوايا .. استعدادًا للحفل الذى أقامه زوجها لعدد من رجال الأعمال وعائلاتهم فى فيلته .

وكانت هذه هى المرة الرابعة التى تقف فيها أمام المرآة لتراجع مظهرها وزينتها ، بينما كان عدد من المدعوين قد حضر إلى الفيلا بالفعل ، حيث تولى (عبد القادر) وحده مهمة استقبالهم والترحيب بهم ، فهى شهيرة بأناقتها ، وبأنها شديدة الاهتمام بمظهرها وانتقاء ثيابها .. خاصة فى تلك الحفلات التى كانت تقوم فيها بدور المضيفة أو المدعوة من جانب أصدقاء زوجها من رجال الأعمال .

حيث تحرص دائمًا على أن تكون متفوقة فى مظهرها وثيابها على زوجات أصدقاء زوجها .. وتبذل كل جهدها لكى تثبت لهنَّ أنها أفضلهن على الإطلاق .

وكثيرًا ما أثار هذا العديد من المشاكل والمجادلات بينها وبين زوجها ، الذى كان يرى أنها تبالغ فى ذلك .

وقد استطاعت (دولت) أن تغرس فى ابنتها تلك العادة ، وذلك الاهتمام المفرط بالأناقة وانتقاء الثياب الفاخرة

أما (هدى) فكانت على العكس تميل دائمًا إلى البساطة

وارتداء الملابس العادية .. برغم أن أباها لم يكن ليبخل عليها ، بدفع ثمن أفخر الثياب لو أرادت .

ولكنها كانت تميل دائمًا إلى البساطة .. بغض النظر عن حالتها النفسية ، وإحساسها بأن الثياب لن تضيف جديدًا إلى مظهرها .. وافتقادها إلى الجمال .. ولن تجذب إليها أنظار اعتادت أن تتجاهلها .

صعد (عبد القادر) إلى غرفته قائلًا لزوجته بضيق :

ـ أما زلت تتأملين ذلك الفستان ؟ الضيوف بدأوا يتوافدون على الفيلا ، وأنت مازلت واقفة هنا أمام هذه المرآة .

قالت ببرود :

ـ ألم تحضر (سوسن) بعد ؟

أجابها وهو ينفث دخان سيجارته :

ـ كلا .

التفتت إليه قائلة :

ـ هل أكدت عليها أن تحضر ؟

قال لها (عبد القادر) وقد بدأ صبره ينفد :

ـ قلت لك من قبل : إننى اتصلت بها تليفونيًا ، وأكدت أن تحضر الحفل .. وإن كنت لا أرى سببًا يدعونا إلى دعوتها .. فهذا الحفل مخصص لمجموعة من الأصدقاء

ورجال الأعمال وأسرهم .. ومثل هذه الحفلات كما تعرفين تكون من أجل التعارف وعقد الصفقات .

ولا أدرى ما صلة هذا بصديقتك المطلقة .

قالت بغضب :

ـ إننى لا أدرى ما الذى يزعجك فى (سوسن) ؟ إنها من أفضل صديقاتى .. فضلًا عن أنها تضفى على أية حفلة تحضرها قدرًا من البهجة والحيوية ، أعتقد أنك وأصدقاءك تحتاجون إليهما .

ولا تنس أيضًا أنها قد عزمتنا على ذلك الحفل فى منزلها ، بمناسبة عودتها من لندن ، ولم نرد لها العزومة بعد .. وهذا الحفل أفضل وسيلة لذلك .. أليس كذلك ؟

ونظر إليها بتمعن قائلًا :

ـ هل تعرفين ؟ إنها تبدو لى بالفعل أفضل صديقاتك .. لأن هناك الكثير من أوجه التشابه التى تجمع بينكما .

قالت وهى تلقى عليه نظرة فاحصة تحاول بها أن تنفذ إلى أعماقه :

ـ ترى أى تشابه هذا الذى تعنيه ؟

ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة .. ولكنه سرعان ما نحاها جانبًا وهو يقول :

ـ ألا يكفى هذا ؟ هيا معى إلى أسفل لاستقبال المدعوين .

وأطاعته برغم ملاحظتها لابتسامته الساخرة ، مما أثار غضبها وانعكس على وجهها ، فبدت حادة الملامح .

ولكن ما إن غادرت الغرفة حتى تمكنت بدورها من معالجة ذلك الأثر السريع ، الذى انعكس على ملامحها ، وتصنعت ابتسامة زائفة لكى تستقبل بها ضيوفها .

وسرعان ما تذكرت شيئًا ، فتركته وعادت لتفتح إحدى الغرف حيث وجدت ابنتها ، وقد ارتدت بلوزتها القصيرة و(البنطلون) الجينز ، وهى مستغرقة فى الاستماع إلى الموسيقى من جهاز (الهيدفون) .

فصاحت فيها قائلة :

- ما هذا يا (شيرين) ؟

انتزعت (شيرين) سماعة (الهيدفون) من فوق أذنيها ، وهى تنظر إلى أمها بشىء من اللامبالاة قائلة :

- ماذا حدث يا ماما ؟

(دولت) :

- أما زلت هنا ؟ وما هذه الملابس التى ترتدينها ؟ ألم أقل لك إن (عبد الحميد) بك سيحضر ومعه ابنه (عماد) .

تصنعت الابنة الدهشة وهى ترفع حاجبيها قائلة :

- وماذا فى هذا ؟

نظرت إليها أمها بغضب قائلة :

- هل تريدين منى أن أعيد عليك ما سبق أن قلته منذ يومين ؟

إن (عبد الحميد) بك مليونير كبير ، وابنه (عماد) يعمل فى إدارة أعماله ، وهو ابنه الوحيد ، ولابد أنه سيرث كل ثروته بعد وفاته .

استطردت (شيرين) قائلة بتهكم :

- وتريدين منى أن أعمل على أن أنال إعجابه لكى يتزوجنى ، ونضمَّ هذه الثروة إلينا ، أليس ذلك ؟

قالت لها أمها غاضبة :

- هذه الأمور تقتضى منك شيئًا من الجدية .. وليس المزاح .

(شيرين) :

- ولكن ألم تقدرى أننى ربما لا أستلطف (عماد) هذا .. وأنه قد لا يصلح زوجًا لى ، ثم إننى ما زلت صغيرة .

(دولت) :

- لا دخل للاستلطاف فى هذا .. (عماد) تتمناه أية فتاة .. وأنت لم تعودى صغيرة .. إنك شابة جميلة ناضجة .. ولأنك جميلة وابنة (دولت المنصورى)

و (عبد القادر رضوان) . فانك يجب ألا ترتبطى إلا بشاب يناسبك ويناسب مستواك مثل (عماد عبد الحميد) .

ولأنك ناضجة فيجب عليك أن تعملى عنى تحقيق هذا .

(شيرين) :

ـ ولكن ياماما .. ربما لم أنل أنا إعجابه .. وربما لم ير فىَّ الزوجة التى تناسبه ، ألم تفكرى فى شىء كهذا ؟

قالت أمها مستنكرة :

ـ ماذا تقولين ؟ ألا تعرفين قدر نفسك ؟ إنك دائمًا محط إعجاب الجميع ، انظرى لنفسك فى المرآة .. واعرفى ابنة من أنت .. لتعرفى أنه لا يمكن لأحد ألا يعجب بك أو يتمناك زوجة له .

العديد من الشباب يحلم أن يقترن بفتاة مثلك .. ولا أحب أن تقولى شيئًا كهذا عن نفسك مرة أخرى .. هيا ارتدى ثيابك وتعالى لتشاركينا الحفل .

وما إن استدارت (دولت) حتى وجدت زوجها واقفًا لدى الباب حيث قال لها :

ـ هل انتهيت من محاضرتك ؟

وانتظرت (شيرين) حتى غادرت أمها حجرتها وأسرعت لتتناول الهاتف حيث أدارت القرص وأمسكت السماعة قائلة :

ـ ماذا أفعل يا (تامر) إنها تصر على أن ألتقى بذلك الشاب ؟

وفى تلك اللحظة كانت (دولت) فى طريقها إلى القاعة السفلية مع زوجها ، حيث سألها قائلًا :

ـ ألم يكن يتعين عليك أن تدعى (هدى) إلى تلك الحفلة .. كما فعلت مع (شيرين) ؟

قالت له (دولت) :

ـ أنت تعرف أن ابنتك انطوائية ولا تميل إلى حضور الحفلات .. ثم إنها غير موجودة فى غرفتها .

سألها بقلق :

ـ غير موجودة فى غرفتها ؟ وأين ذهبت ؟

قالت باستخفاف :

ـ لا تنزعج بمثل هذه الصورة .. لابد أنها جالسة فى ذلك الركن المنزوى من حديقة الفيلا ، تتفحص تلك الزهور التى قامت بزراعتها ، فهذا هو مكانها المفضل .. وهى تهرب إليه عادة كلما أقمنا مثل تلك الحفلات .

(عبد القادر) :

ـ سأذهب لأراها وأطمئن عليها .

نهرته قائلة :

ـ تذهب إلى أين ؟ وضيوفك ؟ أهذه أول مرة ؟دعك من

هذا التدليل الزائد ، وانتبه إلى ماهو أهم ؟

سألها قائلًا :

ـ وماهو الأهم ؟ الخطة التى وضعتها لزواج ابنتك من ابن (عبد الحميد) بك ؟.

(دولت) :

ـ نعم .. أعتقد أننى لست بحاجة لكى أعرفك من هو عبد (الحميد بك) فأنت تعرف من هو الرجل ؟ وماهو وزنه فى سوق رجال الأعمال .. ومصالحك العديدة معه تشهد بذلك ؟.

وزواج ابنتك من ابنه سيدعم هذه المصالح ، ويعزز مركزك المالى والتجارى .

هل أنا مخطئة إذن عندما أسعى لإتمام زيجة كهذه ؟ كان من الواجب عليك أن تشكرنى لأننى أعمل على تحقيق مصلحتك ، بدلًا من هذه اللهجة التهكمية التى تحدثنى بها .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة وهو يقول :

ـ أعتقد أنك عندما فكرت فى شىء كهذا ، كانت مصلحتى فى المرتبة الثالثة بالنسبة لك ... فأنا أعرفك جيدًا يا (دولت) ، ولابد أن مصلحتك ومصلحة ابنتك كانت لها الاعتبار الأول عندما بدأتِ تخططين لذلك .

قالت بلهجة معاتبة :

ـ وما الفرق بين مصلحتى ومصلحتك ومصلحة ابنتك ؟ ألسنا جميعًا أسرة واحدة أم أنك نسيت هذا ؟

نظر إليها (عبد القادر) نظرة فاحصة قبل أن يقول :

ـ لا أدرى يا (دولت) .. أحيانًا تشعريننى أن هذا الفارق موجود بالفعل .

هناك أوقات علىَ أن أتخيل نفسى فيها ، وقد تعرضت لهزة مالية كبيرة . أو أجدنى وقد اقتربت من حافة الإفلاس .. فيكون أول ما أفكر فيه هو أننى لن أجدك وقتها بجوارى .. وأتصورك وقد انسحبت من حياتى ومعك ابنتك .

انتظر (عبد القادر) أن يسمع من زوجته كلمة تبدد بها مخاوفه ، وتشعره من خلالها بحبها وتقديرها له .. ولكنها بدلًا من ذلك ردت عليه قائلة ببرود :

ـ حسن .. ضع هذا التخيل أمامك دائمًا ، لكى تحرص على ألا تتعرض لهزة مالية كبيرة ، أو للإفلاس ذات يوم .

قال وقد أثاره ردها :

ـ هل يعنى هذا أن كل ما أمثله بالنسبة لك هو مجرد قيمة مالية فقط ؟!

وفى تلك اللحظة اندفع أحد المدعوين نحوهما ، وسأل (عبد القادر) :

ـ ما هذا يا (عبد القادر) ؟ .. ضيوفك يسألون عنك .
ثم ابتسم قائلًا بخبث وهو ينظر إلى (دولت) :
ـ أم أنك لا تستطيع أن تستغنى عن المدام لبضع لحظات ؟ .
رسمت (دولت) الابتسامة على وجهها وهى تقول ضاحكة :
ـ هذه حقيقة لا يستطيع أن ينكرها .. ولكننا لانستطيع أن نستغنى عن أصدقائنا أيضًا .
وتقدمت بصحبة (عبد القادر) لترحب بالضيوف والمدعوين حيث انهالت عليها عبارات الإطراء والمديح ، لذوقها وشياكتها ، وجمال تسريحتها ، إلى آخر تلك الأشياء التى تحرص دائمًا على سماعها وتسعد لها :
وبينما كانت (دولت) واقفة بين ضيوفها إذا بها تلمح صديقتها (سوسن) قادمة بصحبة شاب .
فاندفعت تستقبلها مرحبة وهى ترمق الشاب بعيون فضولية ، وقالت لها (سوسن) ضاحكة :
ـ ألم تتعرفى هذا ؟ إنه (عادل) ابن المرحومة (سعاد) أختى .
هتفت (دولت) :
ـ (عادل) .. أمعقول هذا ؟ الولد الصغير الذى كان

يأتى ليلعب فى حديقة منزلنا ؟
ضحكت (سوسن) قائلة :
ـ ولكن هانتذى ترين أنه لم يعد ولدًا صغيرًا .. إنه الآن شاب ناضج وفى طريقه لأن يصبح من رجال الأعمال .
وابتسم الشاب قائلًا :
ـ مازلت فى البداية ياخالتى :
واستطردت (سوسن) قائلة :
ـ أنت تعرفين أن (عادل) قد رحل إلى (اليونان) منذ ثلاثة عشر عامًا ، واستقرت به الأمور هناك منذ فترة ، وهو الآن فى إجازة قصيرة فى (مصر) .
رحبت به (دولت) .. ثم أشارت لزوجها حيث حضر للترحيب (بسوسن) و (عادل) . الذى قدمته إليه زوجته قائلة :
ـ رفيقك فى المهنة .. وإن كان ما زال فى البداية .
وسألتها (سوسن) باهتمام :
ـ أين (هدى) ؟
قالت (دولت) معاتبة :
ـ تسألين عن (هدى) .. ولا تسألين عن (شيرين) ؟
(سوسن) :
ـ إننى و (شيرين) نتقابل يوميًا تقريبًا .. فى

النادى .. وفى منزلى أو هنا .. أما (هدى) فلم أرها سوى مرة واحدة منذ أن حضرت من (لندن) .

قالت لها (دولت) بقلة اكتراث :

ـ لابد أنها فى مكانها المعتاد بالحديقة .

ابتسمت (سوسن) قائلة :

ـ سأبحث عنها بنفسى .. هل تأتى معى يا (عادل) ؟

أطاعها (عادل) حيث توجه معها إلى الحديقة و (عبد القادر) فى إثرهما .

لكن زوجته استوقفته قائلة وهى تمسك بذراعه :

ـ إلى أين ؟

أجابها قائلًا :

ـ سأذهب معهما للبحث عن البنت .

(دولت) :

ـ تعال لترحب (بعبد الحميد) بك وابنه أولًا .. فقد حضرا منذ لحظات دون أن تلحظهما .

وفى أثناء ذلك كانت (سوسن) تجوّل فى أرجاء الحديقة بحثًا عن (هدى) ، حيث لمحتها فى النهاية جالسة فى أحد أركان الحديقة وهى تعتنى بتنسيق بعض أوانى الزهور .

ونظرت إلى ابن أختها قائلة :

ـ هاهى ذى .

نظر إليها وعلى وجهه ملامح الإحساس بخيبة الأمل قائلًا لخالته :

ـ ولكنها تفتقر إلى الجمال تمامًا .

(سوسن) :

ـ إنها ليست دميمة على أية حال .. ثم إننا متفقان على أنه لا شأن لك بشكلها أو شخصيتها .. فكر فى ثروتها وثروة أبيها .

إن الرجل مستعد لأن يفعل أى شىء فى سبيل إسعاد ابنته فهى نقطة ضعفه الحقيقية .. خاصة أنها يتيمة والعلاقة سيئة للغاية بينها وبين زوجة أبيها .. وهو أيضًا حريص على إرضاء زوجته وتحقيق المعادلة بين الاثنتين ، إسعاد ابنته ، وإرضاء زوجته .. هل سأعيد عليك تفاصيل القصة مرة أخرى ؟

(عادل) :

ـ كلا يا خالتى .. لقد حفظتها .

(سوسن) .

ـ إذن ركز جهدك على الوصول إلى قلب الفتاة .. فهى وسيلتك الوحيدة لإنقاذ نفسك من الديون .. وتحقيق الثراء المنشود .. وتأكد أنك لو استطعت أن تتخذ من هذه الفتاة زوجة لك ، فإن ذلك قد يجعلك شريكًا لـ (عبد القادر رضوان)

فى أمواله وأعماله .

(عادل) :

ـ ليس إلى هذا الحد يا خالتى العزيزة .. كل ما أهدف إليه الآن هو تغطية ديونى ، والحصول على قدر معقول من المال لأبدأ به من جديد ، بعد أن خسرت كل ما أمتلكه .

(سوسن) :

ـ لا تلم إلا نفسك .. ولكن ماذا أقول ؟ ليس هذا هو وقت وأوان العتاب .. المهم يجب أن يكون طموحك أكثر من هذا ، ولا تتوقف عند حد تغطية الديون والاكتفاء بمبلغ صغير .. تعود لتخسره مرة أخرى فى مشاريع فاشلة .. إن هذه الفتاة فرصة ذهبية ، وعليك أن تستغلها كما يجب ، والآن دعنى أمهد لك الطريق .

وتقدمت نحو (هدى) مهللة وهى تفتح لها ذراعيها قائلة :

ـ عزيزتى (هدى) .. أنت هنا يا صغيرتى وأنا أبحث عنك ؟

ارتبكت (هدى) وهى تنهض لتحيتها قائلة :

ـ أهلًا طنط (سوسن) .

قالت لها (سوسن) معاتبة :

ـ كلا .. طنط (سوسن) عاتبة عليك .. هل من المعقول أن يمر كل هذا الوقت منذ حضورى إلى القاهرة ، دون أن أراك سوى مرة واحدة فقط ، ثم أدعوك لحضور

ذلك الحفل الصغير الذى أقمته فى منزلى ولا تحضرين ؟

(هدى) :

ـ آسفة يا طنط .. لأنك تعرفين أننى قليلة الخروج من المنزل .

(سوسن) :

ـ أعرف .. وأعرف أيضًا أنك لا تذهبين إلى النادى .. وتفضلين الانطواء على نفسك فى ذلك الركن المنعزل من المنزل .. ولكن إلى متى يا (هدى) ؟ ألم يئن الأوان بعد لكى تخرجى من عزلتك هذه ؟

وفجأة التفتت وراءها وكأنها قد تذكرت شيئًا قائلة :

ـ آه نسيت أن أعرفك بـ (عادل) .

ونادته قائلة :

ـ (عادل) .. لماذا تقف مكانك هكذا ؟ تعال لتسلم على (هدى) .

واقترب (عادل) منهما وهو يبتسم ، فى حين كانت عيناه تتفحصان وتحاصران (هدى) ، ومدّ لها يده مصافحًا وهو يقول :

ـ أهلًا بك يآنسة (هدى) .

وكانت هذه المصافحة هى البداية .. بداية القصة ..

★ ★ ★

٦ ـ صديق الطفولة ..

أحست (هدى) برجفة تسرى فى يدها ، وهو يضغط بأصابع يده القوية على أصابعها الرقيقة فى أثناء مصافحته لها ، فى حين ابتسمت (سوسن) قائلة :

ـ ألا تتذكرينه ؟ إنه (عادل) الذى كان يأتى دائمًا بصحبتى إلى منزلكم وهو صغير .. وكثيرًا ما لعبتما معًا وأنتما طفلان .

ابتسم (عادل) قائلًا ، دون أن يرفع عينيه عن (هدى) :

لقد رفضت أن تعيرينى دراجتك عندما كنا نلعب فى هذا المكان ، برغم أننى بذلت معك محاولات عديدة لاستعارتها منك .

قالت (هدى) وقد بدأت تتذكر :

ـ لقد استوليت عليها عنوة فى النهاية برغم رفضى .

(عادل) :

ـ ولكننى لم أحظى بها سوى دقائق قليلة .. فقد ملأت الدنيا عويلًا وبكاء حتى اضطررت إلى التخلى عنها فى النهاية .

وانفرجت أسارير (هدى) وهى تستعيد فى ذهنها هذه

الذكرى القديمة ، وقالت لها (سوسن) :

ـ حسن .. مادمتما قد استعدتما ذكريات الماضى .. فلا مكان لى بين الأصدقاء القدامى .. سأترككما الآن لتستعيدا ذكريات الطفولة ، وأذهب أنا إلى صديقتى العزيزة (دولت) .

أحست (هدى) بشىء من الارتباك ، لبقائها بمفردها مع (عادل) . الذى زادت نظراته المتطفلة إليها من ارتباكها .. وما لبث أن قال لها بعد برهة من الصمت :

ـ هل يضايقك وجودى معك ؟

ردت قائلة وقد انعكس ارتباكها على صوتها بوضوح :

ـ كلا .. مطلقًا .

ونظر إلى أصيص الزهور قائلًا :

ـ هل أنت .. التى توليت هذه الزهور الجميلة بالرعاية ؟

أجابته قائلة :

ـ نعم .

(عادل) :

ـ إن هذا ينبئ عن رقة إحساسك ونعومة مشاعرك .

(هدى) :

ـ إنك تبالغ بعض الشىء .

(عادل) :

ـ لا أعتقد أن فيما أقوله أى نوع من أنواع المبالغة أو المجاملة .. فهذا ما أعرفه عنك منذ الطفولة .. لقد كنت دائمًا شديدة الولع بالزهور وبهذه الحديقة بالذات . ولا أنسى يوم نهرتنى بشدة حينما امتدت يدى لتقطف بعض الزهور .

ابتسمت (هدى) قائلة :

ـ لك ذاكرة قوية .. وإن كنت تتعمد إغفال بعض الأشياء .

(عادل) :

ـ ماذا تقصدين ؟

(هدى) :

ـ لقد قطفت الزهور بالفعل دون أن تؤثر فيك توسلاتى .. تمامًا كما فعلت بالدراجة .

ضحك (عادل) قائلًا :

ـ أنت تعرفين شقاوة الأولاد فى هذه السن .. وعلى كل حال لقد ظللت تبكين يومها حتى جذبت انتباه جميع أفراد أسرتك ، واضطررت فى النهاية للهرب .

تعالت ضحكة (هدى) وهى تقول :

ـ لقد تعثرت يومها ببعض أصص الزهور وسقطت فى

وحل الحديقة مما جعل مظهرك يبدو مضحكًا للغاية .

ابتسم (عادل) قائلًا :

ـ هذا يثبت أنك تتمتعين أيضًا بذاكرة قوية .

ثم تنهد قائلًا :

ـ لقد كانت أيامًا جميلة .. بالمناسبة لقد نسيت أن أسألك عن العمل الذى تمارسينه الآن ؟

خفضت بصرها وهى تنظر إلى العشب الأخضر قائلة :

ـ إننى لا أعمل .

اتسعت ابتسامته وهو يقول :

ـ طبعًا .. ابنة رجل أعمال كبير مثل (عبد القادر بك رضوان) لا تعطى اهتمامًا كبيرًا للبحث عن وظيفة .. وإن كنت قد ظننت أنك ستعملين مع والدك .. على الأقل لكى تتعرفى على طبيعة وظروف عمله ، فهذه الثروة فى النهاية ستئول إليك أنت وأختك ، سواء مع تقدم الوالد فى السن أو بعد وفاته بعد عمر طويل طبعًا .

وعلى حد علمى ، فهو لم ينجب ولدًا .. أعنى أنه ليس له ذرية سوى أنت وأختك (شيرين) .. ويتعين بالطبع أن تتعرفى كيفة إدارة أعماله ، وخجلت هدى من أن تخبره أنها لا تعمل بسبب ظروفها المرضية ، وإن كانت طبيعتها على كل حال أبعد ما تكون عن ممارسة ذلك النوع من

العمل ، الذى يمارسه والدها ، أو أى عمل وظيفى آخر .

إنها فنانة .. تهوى الرسم والموسيقى ، وتفتنها الطبيعة .. لذا فقد اختارت أن تلتحق بكلية الفنون الجميلة برغم أن مجموعها فى الثانوية العامة كان للالتحاق بكلية الهندسة .. وربما كان هذا هو اختيارها الوحيد ، الذى استطاعت أن تحققه .. واستطرد (عادل) قائلًا :

ـ آه بالمناسبة . نسيت أن أسألك عن الكلية التى تخرجت منها .

أجابته قائلة :

ـ الفنون الجميلة .

ابتسم قائلًا :

ـ حقًا إنها الكلية التى تتناسب مع شخصيتك تمامًا .

أحست (هدى) بشىء من الارتياح والسعادة .. فها هى ذى تلتقى لأول مرة بشخص يهتم بها ، ويفهم الكثير عن جوانب شخصيتها .. وعلى استحياء سألته قائلة :

ـ وأنت .. ماذا تعمل ؟

(عادل) :

ـ لقد سافرت إلى (سوريا) بصحبة أبى كما تعلمين بعد وفاة والدتى ، وهناك التحقت بكلية التجارة ثم سافرت إلى

(اليونان) إثر وفاته هناك ، وظللت أمارس بعض الأعمال حتى كونت مبلغًا لا بأس به ، وأسست مكتبًا صغيرًا للاستيراد والتصدير .

(هدى) :

ـ أى أنك أصبحت من رجال الأعمال .

(عادل) :

ـ تستطعين أن تقولى إننى ما زلت فى بداية الطريق .

(هدى) :

ـ تعازىّ فى وفاة والدك .

(عادل) :

ـ أشكرك .. ولكن ذلك انقضى عليه وقت طويل .

ازداد إحساس (هدى) بالثقة ، وهى تجد نفسها تتبادل حديثًا مسترسلًا مع (عادل) ، دون خجل أو تلعثم .. كما كان يحدث من قبل كلما حاول أحد الأشخاص أن يتحدث معها .

ولكن خاطرًا طرأ على تفكيرها فجأة هزّ هذا الإحساس وقلل من هذه الثقة وهى تسأله قائلة :

ـ هل التقيت (بشيرين) ؟

وسألها قائلًا :

ـ من (شيرين) ؟

(هدى) :

- أختى الصغيرة .

ابتسم قائلًا :

- آه تلك الطفلة الصغيرة التى كانت لا تكف عن البكاء .

(هدى) :

- ولكنها الآن فتاة جميلة ، ولها الكثير من المعجبين .

لقد أحست بأنه لو كان قد التقى (بشيرين) فربما لم يكن ليلتفت إليها أو يسعى حتى للحديث معها . ومن المؤكد أنها كانت قد استحوذت على اهتمامه ، فهكذا تعودت (هدى) دائمًا .. أن ترى أختها وقد استحوذت على إعجاب واهتمام الآخرين ، حتى أنهم ينسون وجودها تقريبًا .

وربما كان مبعث اهتمام (عادل) بها وحديثه الودى معها ، لأنه لم يلتق بأختها بعد ، وبسبب ذكريات الطفولة القديمة التى جمعت بينهما .

وفى تلك اللحظة كان (عبد القادر) قادمًا وهو يبحث عن ابنته ، بعد أن أقلقه غيابها .. عندما لمحها واقفة مع (عادل) فى ذلك الجانب من الحديقة ، وهى تسأله :

ما رأيك لو تذهب لتلقى عليها التحية ؟

(عادل) :

- سأفعل بالتأكيد .. ولكننى لم آت اليوم إلا لتحيتك والحديث إليك .

إلا إذا كنت لا ترغبين فى وجودى كما قلت لك من قبل .

لم تجد ما تقوله فبقيت صامتة ..

إن سعادتها بالحديث إلى (عادل) وارتياحها لوجوده واهتمامه بها .. سرعان ما تلاشى حينما أحست بأن ذلك لن يستمر طويلًا .. وأن ما يجذبه إليها الآن ، ويرغبه فى الحديث إليها هو أنها تذكره بطفولته وماضيه ، ثم لا يلبث هذا الاهتمام أن يتلاشى ويتراجع بعد الانتهاء من أحاديث الذكريات .. وعندما يكتشف حقيقية شخصيتها المنطوية المريضة ، ولا يجد فيها ما يغرى أو يجذبه هو أو غيره من الشبان .

وربما أتى هذا التحول سريعًا ، عندما يتقى بأختها التى تتمتع بكل عوامل الجاذبية ، فتستأثر باهتمامه وينصرف عنها .

وبدا لها هذا الإحساس مؤلمًا .. خاصة وقد أعجبت بشكل تلقائى وسريع بـ (عادل) .

وقالت لنفسها :

- ما أغنانى عن خوض تجربة كهذه .. إننى لست بحاجة لإضافة المزيد من المعاناة إلى حياتى .

فمن كانت مثلى يتعين عليها ألا تعجب بأحد أو تتعلق به .

من كانت مثلى عليها أن تهرب من مثل هذه الأحاسيس سريعًا حتى لاتقودها إلى مشاعر أقوى .

فربما أحبت (عادل) .. وربما آذى هذا الحب مشاعرها في النهاية ، وأضاف إلى حياتها مزيدًا من الأحزان والآلام التى لا طاقة لجسدها المريض ونفسها المضطربة بها .

وبقدر ما قرأت وسمعت الكثير عن مشاعر الحب ، وتمنت أن تعيشه وتجرب أحاسيسه الغامضة ، بكل ما تحويها من سحر وخيال مجهول بالنسبة لها .. بقدر ما كانت تخشى وجوده فى حياتها .

كانت تقول لنفسها دائمًا إن مثلها لم تخلق للحب .

وقطع عليها (عادل) أفكارها قائلًا :

ـ فيم تفكرين ؟

قالت متلعثمة :

ـ لا .. لاشىء .

(عادل) :

ـ أتحبين أن ننضم للآخرين ؟

(هدى) :

ـ بل أفضل البقاء هنا .

(عادل) :

ـ من الواضح أنك تؤثرين الوحدة .

ولم تقدم له إجابة .. فعاد ليسألها قائلًا :

ـ أتريدين منى أن أتركك بمفردك وأنصرف ؟

ولم تعطه إجابة هذه المرة أيضًا .. بل بقيت صامتة ، فقال :

ـ كنت أظن أنه سيدور بيننا حديث طويل نستعيد به ذكريات الماضى ، وتخبريننى من خلاله بعض الأمور عن نفسك .

(هدى) :

ـ (عادل) إننى إنسانة مريضة .. مريضة نفسيًا وجسديًا .. وكنت خلال الشهور الماضية أعالج بإحدى المصحات فى (سويسرا) .. ولكنى لم أشف من مرضى تمامًا كما أننى ..

أشار لها بيده لكى تتوقف عن الحديث .. قائلًا بصوت حنون وهامس :

ـ أعرف كل ذلك .. لقد أخبرتنى به خالتى .

خفضت بصرها إلى الأرض وهى تقول بخجل :

ـ لا معنى إذن لسؤالك .. مادمت تعرف كل ذلك عنى .

ابتسم قائلًا :

- كنت أريد أن أعرف أيضًا إذا ماكانت إحدى تلك المميزات التى أحببتها فيك قديمًا ، مازالت باقية أم لا .
ورفعت إليه وجهها قائلة :
- وماهى تلك المميزات التى أحببتها فىّ ؟
قال وهو يتأملها بإعجاب :
- صراحتك .
(هدى) :
- ربما أننى صارحتك لأنك كنت ستعلم بهذه الحقيقة حتمًا .. فأردت أن تعرفها منى .. قبل أن تعرفها من الآخرين .. ولكنى كما أرى هناك من سبقنى فى إخبارك بها .
(عادل) :
- سواء عرفتها منك أو من غيرك .. فذلك لن يؤثر فى شىء من سعادتى للالتقاء بك ، بعد كل هذه السنوات .. ومن تقديرى لصديقتى القديمة التى أصبحت الآن فتاة شابة ، وإن كانت مازالت تحتفظ بتلك النظرة الطفولية البريئة على وجهها الملائكى .
ابتسمت بسخرية وهى تقول :
- ألم أقل لك إنك تبالغ فى وصفك لى .. إن البعض يدعوننى بذات الوجه الكئيب .

(عادل) :
- أما أنا فأرى العكس تمامًا .
ارتسمت الابتسامة على وجهها وإن كانت تخلو هذه المرة من السخرية والمرارة .
كانت ابتسامة صافية .
لقد وجدت أخيرًا من يقول لها بضع كلمات تعيد الثقة إلى نفسها .
ولم تكن الابتسامة على وجهها وحدها .. بل على وجه أبيها أيضًا ، وقد استمع إلى الحوار الذى دار بينهما .. ورأى البسمة على وجه ابنته لأول مرة منذ شهور عديدة .
وتذكر ما قالته صديقة زوجته (سوسن) من قبل .. إن ابنته بحاجة إلى من يمنحها الحب والحنان .. حبًا وحنانًا من نوع آخر .. لايمكنه هو أن يقدمه لها ، حبًا وحنانًا يمنحها ثقة بنفسها .. ويشعرها بأنوثتها وبأنها فتاة طبيعية .
حبًا يكون بداية لزواج ناضج .. ينفى عنها اتهام زوجته المتكرر بأن هذه الفتاة مآلها أن تصبح عانسًا .
وأخذ يردد لنفسه قائلًا :
- نعم .. هذا هو علاجها الحقيقى .
لقد كانت المشكلة بالنسبة له .. هى أين يجد لها هذا

الشاب الذى يمكنه أن يمنحها هذه المشاعر ؟
أين هو ذلك الشخص الذى يمكن أن يفكر فى الزواج من ابنته ، مع ما تفتقر إليه من جمال ، وبتاريخها المرضى الطويل ، الذى كان يحولها فى بعض الأوقات إلى فتاة مشلولة ، ودون أن يكون ذلك الشخص طامعًا فى ثروته وفى استغلال ابنته ؟

وها هو ذا قد وجده ..

ومن أفضل من صديق طفولتها (عادل) ؟!

كما أنه من الواضح أنه معجب بها . ويكن لها تقديرًا كبيرًا .

وعليه أن يسعى لكى يتحول هذا الإعجاب إلى الحب .. ثم إلى زواج .. وبذلك تنتهى مشكلته مع ابنته ومتاعبها .

إن (عادل) من أسرة معروفة .. وطريقه إلى أن يكون من رجال الأعمال كما أخبرته خالته .. كما أنه يبدو وسيمًا دمث الأخلاق .. ولن يجد من هو أفضل منه لكى يكون زوجًا لابنته .

واستقر رأيه على هذا ، وهو يستدير عائدًا إلى ضيوفه .. هذا هو الحل ..

الحل الوحيد .

★ ★ ★

٧ ـ دواء ابنتى ..

طرأ تغيير ملحوظ على (هدى) بعد أن تعددت المقابلات بينها وبين (عادل) ..

ربما كان تغييرًا بطيئًا وغير ملحوظ لمن لا يعرف شخصيتها ، ويتسنى له معاشرتها .. ولكن كان هناك تغيير بلا شك .

لم تعد تلك الفتاة المنطوية ، التى تفضل العزلة فى غرفتها ، أو فى ذلك الركن القصى من الحديقة ..

لقد أصبحت الآن أكثر ميلًا للخروج ومغادرة المنزل فى صحبة (عادل) ، وأصبحت أكثر إقبالًا على الذهاب إلى النادى معه بعد أن كان أبوها يلح عليها لمرافقتهم إلى هناك دون جدوى .

كما أنها خرجت عن ساعات صمتها الطويل ، وأصبحت أكثر قدرة على التغلب على خجلها .

والأهم من ذلك أن ملامح اليأس والاكتئاب ، التى كانت تظلل وجهها وتضفى عليها طابعًا حزينًا بدأت تفارقها .

وكان الأب يراقب ذلك التغيير الذى طرأ على ابنته فى سعادة وارتياح ، وهو يردّد لنفسه :

ـ حقًا .. الحب يفعل المعجزات .. إن عامًا كاملًا قضته

الفتاة فى أفضل المصحات العلاجية فى العالم ، لم يفعل بها ما فعله لقاؤها بهذا الشاب .

لقد انعكست حيويته وروحه المرحة والمقبلة على الحياة عليها .. فأخذت تتخلص تدريجيًا من متاعبها الصحية ، وغدت تقبل على الحياة بدورها .. حتى جسدها عادت له حيويته .. وشفى تمامًا من آثار ذلك الشلل الذى كان يعجز حركتها .

صحيح أن علاجها فى المصحة السويسرية أسهم بقدر كبير فى شفائها ، ولكنها بقيت ثقيلة الحركة .. تعانى بصعوبة الجلوس والنهوض برغم تمرينات العلاج الطبيعى اليومية .

ولكن هاهو ذا يراها الآن تركض وتقفز فى درجات السلم ، دون أن يبدو لهذا المرض أى أثر فى جسدها .. لقد تخلصت تمامًا من معاناتها مع ذلك المرض اللعين ..

وهذا يثبت أن مرضها كان نفسيًا فى المقام الأول .

• إن ابنته تحب (عادل) ..

ما فى ذلك من شك ..

ومن الواضح أنه يبادلها عاطفتها القوية نحوه .

فهو يأتى بصفة شبه دائمة لزيارتها فى المنزل ، واصطحابها إلى النادى وإلى بعض الأماكن الأخرى ، بعد استئذانه .

وقد مرّ شهر الآن على ذلك .. ازدادت من خلاله روابط الصلة والارتباط بينهما ، وآن الأوان لأخذ الأمر بجدية .. ووضع نهاية مقبولة لهذه الصلة ، واتخاذ قرار بشأن زواجهما .

حقًا .. إن الفتى لم يحاول أن يحادثه فى هذا الشأن ولا مرة واحدة .. كما أن خالته لم تفاتحه أو تفاتح زوجته فى أمر كهذا .

ولكن ربّما أن الشاب يشعر بحاجته إلى المزيد من الوقت ، للتفاهم مع ابنته .. ولمزيد من التقارب بينهما .

وربما أنه يتحين الفرصة المناسبة ..

ولكنه هو لا يستطيع أن ينتظر أكثر من ذلك ..

لقد وجد علاج ابنته مع ذلك الشاب .. وعليه ألا يضيع فرصة ظهوره فى حياتها .. وما أحدثه هذا الظهور فى حالته الصحية والنفسية .

عليه أن يتقدم هو لحسم الأمر وأن يعمل على تذليل أى عقبة تحول دون إتمام هذا الزواج .

إن (عادل) فى بداية طريقه ، وهو يسعى بخطى واسعة لبناء مستقبله ، وعليه أن يقدم له يد المساعدة ، ويفسح له الطريق للنجاح .. ولكى يكون مثله من كبار رجال الأعمال .

لابد أن ينشىء شيئًا من التعاون بينه وبين (عادل) ، يتم من خلاله تقديم عمليات كبيرة لمكتبه فى (اليونان) ، ويا حبذا لو نقل هذا المكتب إلى (مصر) .

ربّما يجعله يقوم ببعض العمليات الخاصة بشركته لحسابه الخاص ، أو من الباطن .. وهكذا كفيل بدفعة دفعة كبيرة إلى الأمام ، حتى يمكنه الاعتماد على نفسه .

ولماذا لا يفعل ذلك ؟ ألن يكون زوجًا لابنته ؟.. وما يعود عليه من خير سيعود عليها أيضًا ؟

من الممكن أن يجعله أيضًا شريكًا له بنسبة معينة فى أعماله وشركته .. فكل شىء فى النهاية عائد إلى ابنتيه وزوجته .

لقد كانت الفتاة مشكلة كبيرة بالنسبة له ..

مشكلة تؤرق ضميره بأكثر مما تثير مشاعره .

فربّما كان عاجزًا عن أن يمنحها حبه الأبوىّ على نحو مثالىّ .. وعلى النحو الذى يشعره تجاه ابنته الصغيرة .. ولكنه بلا شك لن يتخلى عن واجبه نحوها كأب .. بل إنه يدرك جيدًا ، أن مسئوليته نحوها أكبر بكثير من مسئوليته نحو الابنة الصغرى ، بسبب يتمها المبكر ، وافتقادها لروح الأسرة الحقيقية ، على النحو الذى تعيشه أختها ..

فضلًا عن ظروفها المرضية وحالتها النفسية .

لذا فهو لن يدخر وسعًا حتى ينتهى من هذه المشكلة .. ويحقق للفتاة ماتتمناه .

وقطعت عليه زوجته أفكاره ، قائلة :

ـ لماذا تبدو شاردًا على هذا النحو ؟

سألها قائلًا :

ـ ما رأيك فى هذا الشاب .. (عادل) .. ابن أخت صديقتك (سوسن) ؟

نظرت إليه (دولت) نظرة فاحصة ، قائلة :

ـ شاب ممتاز بلا شك ولا غبار عليه .

ثم استطردت وهى مازالت تحدق فيه :

ـ أفهم فيم تفكر .. وألحظ أنه يبدى شيئًا من الاهتمام بابنتك ، ولكن لا تدع الخيال يشتط بك .. فالأمر لا يتعدى ذكرى صداقة قديمة جمعت بينهما فيما مضى .. وبما أن (عادل) قد سافر منذ فترة طويلة من الزمن دون أن يخلف وراءه الكثير من الصداقات .. فإنه من الطبيعى وقد رأى أمامه رفيقة طفولته القديمة ، أن يبدى شيئًا من الاهتمام بها .. إنه نوع من الحنين إلى الماضى .. ولكنى لا أعتقد أنه يمكن أن يتجاوز ذلك .

قال زوجها بشىء من الضيق :

ـ ولماذا تظنين أنه لا يتجاوز ذلك ؟ هل تحادثت مع (سوسن) فى هذا الشأن ؟

هزت كتفيها ، قائلة :

فى الواقع .. لم نتحدث بهذا الشأن مطلقًا .. ولكن الشاب كما ترى وسيمًا ومرحًا وبه جاذبية تستدعى انتباه الكثيرات .. وابنتك كما تعرف .. أعنى .. أنه لا يمكن أن يفكر فيها كفتاة يمكن أن يعجب بها ويتزوجها .

ازداد ضيقه ، وهو يقول :

ـ ليتك تتوقفين عن الحط من شأن ابنتى ، والإقلال من قدرها على هذا النحو ، خاصة أمامى .

قالت وهى تخفف من لهجتها :

ـ آسفة يا (عبد القادر) .. إننى لا أقصد ذلك .. إننى أحاول أن أحادثك بواقعية .. فأنا أيضًا ألحظ اهتمام (هدى) الزائد (بعادل) وأخشى من تأثير ذلك عليها فيما بعد .

إن حضوره لمقابلتها ، وخروجه معها فى بعض الأحيان إلى النادى ، لا يعنى أنه يمكن أن يفكر فى الزواج منها .. أعنى أنه لم يتحدث معى أو مع خالته أو معك فى شىء كهذا ، أو حتى يحاول التلميح به ، برغم أنه قد مرّ شهر منذ أن التقى بابنتك .. وهذا يعنى أن ارتباطه بها أمر

غير وارد فى تفكيره .

(عبد القادر) :

ـ ولكنى أعتقد أنه معجب بابنتى .

قالت (دولت) بلهجة ساخرة :

ـ بمن .. (بهدى) ؟

قال منفعلًا :

ـ نعم (بهدى) .. وهل تظنين أنه لا توجد فتيات أخرى تستحق الإعجاب سوى ابنتك المدللة ؟ أم أنك تخفين بلهجتك الساخرة هذه ، غيرتك من أن الشاب قد توجه باهتمامه وإعجابه إلى (هدى) دون أن يعبأ (بشيرين) ؟

(دولت) :

ـ أنت تعرف أنه لا يوجد ما يقلقنى بشأن (شيرين) ... فأفضل شباب البلد يتمنونها زوجة لهم ، وآخرهم (عماد) ابن المليونير (عبد الحميد) .. والذى مازلت تؤرجح موافقتك على طلبه حتى اليوم ، برغم أن أباه حدثك فى هذا الأمر أكثر من مرة .

(عبد القادر) :

ـ كما أرى فإن (شيرين) لا تستلطف هذا الشاب ، وأنا لا أريد أن أفرض عليها شخصًا لا تريده .

(دولت) :

ـ البنت لم ترفضه ، وإذا كانت هذه هى حجتك ، فلا شأن لك بمسألة الاستلطاف هذه .. أنا أعرف كيف أقنع ابنتى بقبوله .. فقط قل كلمتك أنت .

(عبد القادر) :

ـ ليس قبل أن أنهى أمر زواج (هدى) أولًا .

وضعت (دولت) يدها فوق رأسها ، قائلة بقنوط :

ـ آه هذا ماكنت أخشاه .. إذا ما ربطت زواج (شيرين) بابنتك المكتئبة هذه .. فلن تتزوج ابنتى أبدًا .

صاح فيها غاضبًا :

ـ قلت لك لا تطلقى عليها هذا الوصف ..

ثم أضاف وقد هدأت نبرته قليلًا :

ـ إننى لا أربط زواج إحداهن بالأخرى .. ولا أنوى ذلك .. ولكن كونى عادلة قليلًا .. إن فرصة (هدى) فى الزواج أقل من أختها بسبب ظروفها التى تعرفينها جيدًا .. وهذه مسألة تشغل تفكيرى ، وأريد أن أنتهى منها أولًا .

(دولت) :

ـ أتعتقد أننى لا أريد مثلًا أن تتزوج (هدى) وبأسرع وقت ممكن ؟.. إن أمرًا كهذا يريح الجميع .

يريحنى من متاعبها .. وعدائها المستمر معى .. ويخلصك من هذا القلق والتوتر الذى يلازمك دائمًا

بشأنها ويضيف إلى أعبائك الكثير مما ينغص حياتنا ، وينعكس على علاقتنا بالكثير من المشاكل التى نحن فى غنى عنها ، ويجعلنا أكثر تفرغًا لبعضنا خاصة بعد زواج (شيرين) .

ولكن المشكلة هى هل تظن أن هذا الشاب يحبها فعلًا ؟ هل من الممكن أن يكون مستعدًا للزواج منها ؟

(عبد القادر) :

ـ أعتقد أنه بحاجة لأن أشجعه على التقدم لطلب يدها منى .

(دولت) :

ـ وكيف ستشجعه على ذلك .. هل ستقول له ، لماذا لا تأتى لتطلب منى يد ابنتى ؟

(عبد القادر) :

ـ إننى سأحاول أولًا أن أجعله أكثر ارتباطًا بنا .. يمكن أن أقدم له بعض العمليات التجارية ليديرها عن طريق مكتبه فى (أثينا) .. ويمكن أيضًا أن أجعله يدخل بحصة كشريك فى شركتى .. وتدريجيًا يمكن أن أفاتحه فى الأمر ، أو ربّما بادر هو من نفسه بمفاتحتى فيه .

وقالت (دولت) ساخرة :

ـ آه . تقصد أنك ستعمل على إغرائه .

قال بضيق :

ـ لك تعبيرات شديدة القسوة .. إبنتى ليست بحاجة لكى ألجأ إلى الإغراء لكى أزوجها .

وإذا كان البعض يحكم على مظهرها الخارجى ، وعلى ظروف خارجة عن إرادتها حكمًا سيئًا .. فهذا ليس ذنب الفتاة وإن كانت فى أعماقها جوهرة نفيسة لم تكشف عن نفسها بعد .

قالت (دولت) متهكَمة :

ـ هذه أول مرة أراك تتحدث فيها بهذه اللهجة الشاعرية .. على كل حال إذا كنت ترى هذه الجوهرة النفيسة فى ابنتك ، فهذه رؤيتك وحدك ، أما الآخرون فليس لهم سوى الظاهر .

كن عمليًا وواقعيًا كما كنت دائمًا يا (عبد القادر) .. فأنا وأنت والكثيرون غيرنا يعلمون ظروف البنت .. كما أن لهم عيونًا يرون بها أنها تفتقر إلى الجمال .

وإذا فرضنا جدلًا أن ذلك الشاب سيتقدم للزواج من ابنتك .. إذا حدث هذا فهل تستطيع أن تقول لى ، ما هو الدافع الحقيقى وراء ذلك ؟

قال وفى عينيه نظرة شك :

ـ تقصدين أنه يمكن أن يكون ...

قاطعته قائلة :

ـ طمعان فى ثروتك .. ليس هناك تفسير آخر .. وفى هذه الحالة سيكون من الخطأ البالغ أن تسلم له ذقنك ، وتمنحه ثقتك بهذه الصورة التى تتحدث عنها ..

فهذا الشاب أو غيره إذا اكتشف نقطة ضعفك تجاه ابنتك سيسعى إلى استغلالها لأقصى درجة ، وبكل الوسائل المتاحة له .. على حسابك وحساب ابنتك بالطبع .

هل نسيت ذلك الشاب ، الذى تقدم للزواج منها قبل سفرها إلى (سويسرا) بعامين ؟

لقد ظهرت أطماعه الحقيقية بعد أسبوع واحد فقط من تقدمه لخطبتها ، واكتشفنا أنه لم يأت لخطبة (هدى) ، بل لخطبة ثراء أبيها ، الذى أراد أن يتعيش على حسابا .. أتريد أن تزوج ابنتك لشخص من هذا النوع ؟

قال (عبد القادر) وهو يحاول أن ينزع الشك من تفكيره :

ـ ولكن (عادل) ليس من ذلك النوع .. إننا نعرفه منذ كان طفلًا صغيرًا ، ونعرف أسرته جيدًا .. ثم إنه رجل أعمال محترم .. وله مكتب استيراد وتصدير فى الخارج .. أى أنه لا يمكن أن يكون طامعًا أو محتالًا .

(دولت) :

- ولكنى أيضًا أعرف خالته جيدًا .. إنها صديقتى حقًا .. لا أنكر ذلك .. بل إنها تعد من أقرب صديقاتى لى ، ولكن هذا لا يغير شيئًا من حقيقتها . وهى أنها من ذلك النوع الذى يحترف اصطياد أموال الرجال .. وهى خبيرة بالزواج القائم على المصلحة .

(عبد القادر) :

- هذا لا يعنى أن يكون ابن أختها مشابهًا لها .. خاصة وأن والدته كانت تختلف كلية عن أختها .

(دولت) :

- نعم .. قد يكون هذا صحيحًا .. وأنا لا أطلب منك أن ترفض (عادل) .

ولكن إذا ماجاء هذا الشاب طالبًا منك يد ابنتك .. لو افترضنا حدوث ذلك .. فإن عليك أن تتروى قليلًا قبل أن تعلن موافقتك عليه .. عليك أن تتحرى عن حقيقة وضعه المالى وعمله .. وذلك المكتب الذى يديره فى (أثينا) .

إن هذا من حق كل أب تطلب ابنته للزواج .. فما بالك إذا كان هذا الأب هو (عبد القادر رضوان) .

صمت قليلًا قبل أن يقول :

- نعم .. معك حق .. يجب ألا نتعجل الأمور وأن نسأل

عنه أولًا .

قالت زوجته مستطردة :

- هذا إذا افترضنا أنه سيطلبها منك للزواج .

نظر إليها وقد أزعجته فكرة الافتراض هذه .. ثم مالبث أن قال لها وكأنه يتعلق بأمل وحيد :

- إننى رجل خبرت الحياة .. وكما أرى فإن الفتاة متعلقة بهذ الشاب ، نظرات عينيها وكل تصرفاتها تؤكد ذلك .. وإذا لم يطلبها (عادل) للزواج ، أو تخلى عنها فجأة ، فالله وحده يعلم أى نكسة ستتعرض لها (هدى) .. وقد يكون الأمر أسوأ بكثير بالنسبة لها عما مرت به من قبل .

يجب أن يطلبها (عادل) للزواج .. يجب يا (دولت) .. هذا هو الشىء الوحيد الذى سيساعد هذه الفتاة على الشفاء .. ويعيد إليها رغبتها فى الحياة .

وبعد لحظات تناهى إلى سمعه صوت سيارة قادمة بالخارج .. فألقى نظرة عبر النافذة ليرى ابنته وهى تهبط من السيارة ، وبرفقتها (عادل) ، ووجها متهلل بأمارات السعادة والحيوية .

ثم مالبثت أن اندفعت نحو باب الفيلا وهى تركض و(عادل) خلفها .

وأقبلت عليهما لتحيهما وهى على تلك الحالة النفسية الرائعة ، حتى أنها قبلت زوجة أبيها ، التى اعترتها الدهشة هى وزوجها .. فهذا شىء لم تفعله معها (هدى) منذ سنوات طويلة .. وحتى عندما كانت تفعل ذلك فى الماضى ، فإنها كانت تفعله مجبرة وتحت ضغط من أبيها .

وقال لها أبوها وهو يتأملها فى سرور :

ـ يبدو أنك اليوم فى أحسن حالاتك يا (هدى) .

وابتسمت قائلة :

ـ هو كذلك يا أبى .. إننى لم أكن سعيدة بقدر ما أنا اليوم .

نظر (عبد القادر) فى اتجاه (عادل) الذى كان يقترب منهم فى خطوات بطيئة ، قائلًا :

ـ أعتقد أن لصديق طفولتك القديم دخلًا فى ذلك .

وأقبل (عادل) ليصافحهما .. حيث قال له (عبد القادر) فى امتنان حقيقى :

ـ أشكرك يا بنى .

نظر إليه (عادل) فى دهشة ، قائلًا :

ـ على أى شىء تشكرنى يا عمى ؟

نظر (عبدا القادر) إلى ابنته ، قائلًا :

ـ لقد أعدت البسمة إلى وجه ابنتى .

تحدث (عادل) إلى (هدى) ، قائلًا :

ـ هل أخبرتهما بشىء ؟

قالت هامسة وهى تخفض وجهها إلى الأرض فى خجل :

ـ كلًا .. أنت الذى يجب أن تحادثهما فى ذلك .

قال لهما (عبد القادر) ، متسائلًا :

ـ أهو سرّ .. تخفيانه عنا ؟

(عادل) :

ـ إنه أمر صارحت به (هدى) .. وكنت أنوى أن أؤجل الإعلان عنه ، حتى أحضر لمقابلة حضرتك فى صحبة خالتى ، وفقًا للأصول ومراعاة للتقاليد . ولكنى أجد نفسى غير قادر على الانتظار لحين الحضور مع خالتى .

عمى .. إننى أتشرف بطلب يد (هدى) للزواج من حضرتك .

ابتسم الأب وهو يحاول إخفاء فرحته وسعادته الكبرى لهذا الطلب ، بينما ارتسم على وجه زوجته تعبير جامد ، وقد بدا أن هذا الطلب قد فاجأها وأدهشها .

وبرغم أنها كانت ترغب بالفعل فى التخلص من الفتاة ، وتتمنى أن يأتى من يأخذها بعيدًا عن هذا المنزل .. إلّا أنها أحست فى أعماقها بشىء من الغيرة ، لأن الفتاة قد وجدت

أخيرًا من يحبها ويطلبها للزواج ، وهى التى كانت تعايرها دائمًا بأنها ستبقى عانسًا ما تبقى لها من العمر .

وقال له الأب وهو يجاهد فى إخفاء فرحته :

- فى الحقيقة لقد فاجأتنى بطلبك هذا يا (عادل) .. ولا أعرف ماذا أقول لك ؟

وقالت له زوجته متظاهرة بالسرور ، وهى تجاهد هى الأخرى لكى تخفى غلّها :

إننا لن نجد (لهدى) عريسًا أفضل من (عادل) .

(عادل) :

- أشكرك يا طنط .. وأرجو أن أحظى بموافقتك يا عمى .

(عبد القادر) :

- ألا نأخذ رأى العروس أولًا .

وكانت (هدى) مازالت تخفض بصرها ، وقد تضرج وجهها بالاحمرار من شدة الخجل .

وقال له زوجته :

- رأى العروس واضح .. فلا داعى لكى تخجلها أكثر من ذلك .

ونظر (عبد القادر) إلى ابنته بسرور ، ثم قال (لعادل) :

- فى الحقيقة فإننى موافق .. خاصة وأننى أرى أنكما متفقان .. ولكن أنت تعرف أن مثل هذ الأمور تحتاج لبعض الوقت .

(عادل) :

- فى الحقيقة يا عمى أننى متعجل ، وأرغب فى عقد خطوبتى على (هدى) خلال الأسبوع القادم .

(عبد القادر) :

- لنجعل الخطوبة بعد عشرة أيام حتى يتم اتخاذ الترتيبات اللازمة .

وصافحه (عادل) بحرارة ، قائلًا :

- أشكرك .. أشكرك جدًّا ياعمى .

ولو كان الأمر بيد (عبد القادر) لشكره هو ، وأعرب له عن خالص امتنانه لطلبه ليد ابنته ، وإزاحة هذا العبء الثقيل عن قلبه .

فعند ما ينتهى من أمر زواج هذه الفتاة ، يكون قد أدى واجبه بالكامل نحوها ، خاصة وأنه لن يتخلى عنها هى وزوجها فى المستقبل .. وإنما سيعمل على تأمين حياتها معه تمامًا وبنفس القدر الذى سيقوم به تجاه ابنته الصغرى ، وبذلك يستطيع أن يتفرغ لعمله وحياته القادمة بضمير مستريح .

كنه على كل حال سيعمل أولًا بنصيحة زوجته ، ويبدأ فى التحرى جيدًا عن (عادل) قبل أن يحدّد الموعد النهائى للخطبة .

وإن كان واثقًا أن ذلك الشاب مناسب من كافة الوجوه .. خاصة وأنه يرى أنه يحب ابنته وأنه يريدها بالفعل لذاتها ، وشخص كهذا لابد أنه سيسعدها ويكون أمينًا عليها .

فـ(هدى) بالذات بحاجة لشخص يستطيع أن يوفر لها الحب والسعادة والأمان .

فى حاجة إليه بشدة .

★ ★ ★



٨ ـ مشاعر جريحة ..

عاد (عبد القادر) إلى منزله مكفهر الوجه ، واستقبلته زوجته بقلق وهى تراقب ملامح وجهه العابسة .

وسألته قائلة :

ـ ماذا بك يا (عبد القادر) ؟

أطلق زفرة قصيرة ، قائلًا :

ـ لا .. لا شىء ..

ولكنها عادت تسأله :

ـ أهناك أية متاعب فى العمل ؟

وقال دون أن يفارقه عبوسه :

ـ كلّا .. أين (هدى) ؟

(دولت) :

ـ إنها فى غرفتها .. تستعد للخروج مع (عادل) .

وفى هذه اللحظة كانت (هدى) تهبط فى درجات السلم ، وقد ارتدت ثوبًا جديدًا ، وصففت شعرها بطريقة مختلفة ، وبدت أمارات البشر واضحة على وجهها الذى ازداد حيوية .

وسمعت أباها وهو يسأل عنها .. فأسرعت إليه قائلة :

ـ هل تريدنى يا أبى ؟

ونظر إليها مليًا ، وهو يتأمل ثوبها الجديد وملامحها .. ثم ما لبث أن قال :

ـ هل تنوين الخروج مع (عادل) اليوم أيضًا ؟

قالت مطرقة فى خجل :

ـ إذا سمحت لى .

استمر يحدجها بنظراته وهو صامت لبرهة من الوقت .. ثم قال :

ـ تعالى يا (هدى) .. أريد أن أتحدث إليك قليلًا قبل أن تخرجى .

أرادت زوجته أن تلحق به وهى تتبعه بنظراتها فى قلق .. ولكنه استوقفها قائلًا :

ـ من فضلك يا (دولت) .. أريد أن أتحدث إليها بمفردنا .. ليتك تعدين لى فنجانًا من الشاى .

وما إن أغلق عليها باب غرفة المكتب حتى التفت إلى (هدى) ، قائلًا :

ـ قولى لى يا (هدى) .. أتحبين هذا الشاب حقًّا ؟ أعنى هل أنت متأكدة من حقيقة مشاعرك نحوه ؟

خفضت بصرها مرة أخرى فقد اكتسى وجهها بحمرة الخجل ، دون أن تحر جوابًا .

فأمسك أبوها بكتفيها ، قائلًا :

ـ (هدى) .. ليس هناك ما يدعوك إلى الخجل فى الإجابة على مثل هذا السؤال .

وتلعثمت قائلة :

ـ (عادل) شاب ممتاز .. وأنا .. وأنا ..

أطلق الأب زفرة قصيرة وقد أدرك الجواب .. بل وجد أنه لا معنى للسؤال منذ البداية .. فحب ابنته لهذا الشاب أمر لا يحتمل حتى مجرد السؤال .

ولكنه عاد ليقول :

ـ وهو .. أتظنين أنه يحبك بصدق؟ أعنى .. هل أنت متأكدة من حقيقة شعوره نحوك ؟

ورفعت وجهها إليه وقد أقلقها سؤاله .. فسألته قائلة :

ـ أبى .. مامعنى سؤالك هذا ؟ إنك تعرف أننى و(عادل) متحابان وإلا ما كنت قد وافقت على زواجنا .

قال بعصبية :

ـ إننى لم أوافق بعد .

حدقت (هدى) فيه وقد ازداد قلقها ، وقالت :

ـ أهناك ما يدعوك إلى عدم الموافقة يا أبى ؟

قال لها (عبد القادر) وفى صوته شىء من الحيرة :

ـ كلا .. ولكن .. ولكن ليس هناك ما يدعونى إلى التعجل فى الموافقة على زواجك من هذا الشاب .

قالت وفى صوتها نبرة خوف :

- إننى أرى أنك غيرت موقفك نحو (عادل)

قال لها (عبد القادر) مترددًا :

- لا أد ى .. ولكن أحيانًا .. أشعر بأن هذا الشاب لا يناسبك .

قالت (هدى) بدهشة :

- لماذا تقول هذا الآن يا أبى ؟ لقد تربينا معًا أنا و(عادل) .

(عبد القادر) :

- هذا لا يعنى أنه مازال نفس الطفل الصغير الذى عرفته أيام طفولتك ، لقد كانت سنوات قلائل تلك التى تصادقتما فيها معًا .. وبعدها رحل إلى الخارج ، وانقطعت صلتنا به لفترة طويلة من الزمن .

وبضعة أشهر قد تغيّر الشخص ، فما بالك بكل هذه السنوات ؟

وقالت وهى تحدجه بنظرة فاحصة :

- ما الذى يقلقك بشأن (عادل) ؟

(عبد القادر) :

- لا شىء .. ولكن أعتقد أننى بحاجة لبعض الوقت قبل أن أعطى موافقتى على زواجك منه .

(هدى) :

- ولكنك وعدت (عادل) بأن تتم خطبتنا بعد عشرة أيام ، ولم يعد متبقيًا منها سوى يومين .. وكان ينوى الحضور مع خالته بعد الغد .

- (عبد القادر) :

- أعتقد أن العشرة أيام لم تكن مدة كافية .. وأنى بحاجة لمزيد من الوقت قبل أن أقرر حضوره هو وخالته للاتفاق على هذه الخطبة .

قال فى أسى :

- ولكنك لم تكن بحاجة إلى وقت لكى تعلن عن موافقتك على خطبة (شيرين) (لعماد) ابن (عبد الحميد) بك .

(عبد القادر) :

- إننى أعرف (عبد الحميد) بك وابنه منذ سنوات طويلة .. و(عبد الحميد) بك شخصيته معروفة .. له اسمه وسمعته .. وكذا ابنه الذى يشاركه أعماله .

(هدى) :

- تقصد تعرف مقدار ثروته ورصيده فى البنك ، مما يجعلك أكثر ترحيبًا وسرعة فى الموافقة على خطبة ابنه (لشيرين) .

نهرها قائلًا :

- كيف تجرئين على محادثتى بهذا الأسلوب ؟
صمتت (هدى) وقد اغرورقت عيناها بالعبرات .. فأثار هذا عطف الأب الذى قال لها بلهجة حانية :
- تأكدى يابنيتى أنه لا علاقة للثروة بموافقتى على مثل هذه الزيجة .. إن كل ماأهدف إليه سعادتك .. وسعادتك لن تتحقق إلا مع شخص يحبك بصدق وإخلاص .
قالت (هدى) متسائلة :
- أتشك فى مدى صدق إخلاص (عادل) فى حبه لى ؟
نظر إليها الأب مترددًا فى حيرة .. ثم مالبث أن سمع طرقات على الباب .. فنادى قائلًا :
- ادخل .
دخلت زوجته حاملة صينية عليها فنجان من الشاى وهى تنظر إليهما بفضول ، وتوجهت إلى (هدى) قائلة :
- لقد حضر (عادل) .. إنه فى انتظارك بقاعة الاستقبال .
قال لها الأب :
دعيه يأتى إلى هنا .. إننى أرغب فى مقابلته .
حضر (عادل) إلى غرفة المكتب ، حيث صافحه الأب بشىء من الفتور .. ثم التفت إلى ابنته وزوجته ، قائلًا :
- من فضلكما .. أتركونا بمفردنا قليلًا .. إننى أريد

التحدث مع (عادل) .
وظلت (هدى) برهة من الوقت تنقل بصرها بين الطرفين ، وهى قلقة بشأن ما يمكن أن يدور بين أبيها وبين (عادل) .
وما إن غادرا الغرفة حتى نظر (عادل) إلى الأب ، قائلًا :
- خيرًا يا عمى .
قال له الأب بلهجة جافة :
- ألا ترى أن خروجك المستمر مع (هدى) على هذا النحو ، يعد شيئًا غير لائق ولا مقبول ؟
نظر إليه (عادل) بدهشة وقد فوجىء باختلاف لهجة الأب معه هذه المرة ، قائلًا :
- ولكننا تقريبًا فى حكم المخطوبين .
(عبد القادر) :
- ولكنى لم أوافق على هذه الخطوبة بعد .
قال (عادل) وقد ازدادت دهشته :
- ولكننى كنت أنوى إحضار خالتى بعد غد طبقًا لما اتفقنا عليه .
وقال له (عبد القادر) بحزم :
- لقد اتفقنا على أن تمنحنى فرصة للسؤال عنك أولًا .
(عادل) :

ـ أنك تعرفنى منذ الصغر يا عمى ، ولم أكن أعتقد أنك بحاجة للسؤال عنى .. فأنا ...

قاطعه (عبد القادر) بنبرة حادة :

ـ إنك نصاب .

نظر إليه (عادل) مبهوتًا وقد اضطربت ملامحه .. دون أن ينطق بكلمة .

فى حين أردف هو قائلا :

ـ هذا ما تبينته بعد سؤالى عنك .

كانت (هُدى) واقفة فى هذه اللحظة وراء باب الغرفة المغلق .. وقد دفعها القلق والفضول إلى التصنت عما يدور بين أبيها و (عادل) .

وشعرت بانزعاج شديد عندما سمعت آباها وهو يحادث (عادل) على هذا النحو ، ويصفه بهذه الصفة .

وتلعثم (عادل) قائلًا :

ـ عمى .. إننى لا أدرى .. ماالذى يجعلك تقول هذا ؟.. ولكن ..

قاطعه (عبد القادر) مرة أخرى :

ـ تلك الشركة أو المكتب الخاص بالتصدير والاستيراد والذى تحدثت عنه فى اليونان لا وجود له مطلقًا .

لقد أنفقت المبلغ الذى حصلت عليه من ميراث أبيك على

وسائل اللهو والترفيه ومكاتب المراهنات ، وموائد القمار فى أوربا .. ثم انتهى بك الأمر إلى العمل فى عدة أعمال وضيعة فى (إيطاليا) و (اليونان) .. وأخيرًا ارتكبت جريمة سرقة لدى أحد المحلات التى كنت تعمل بها .. وكدت أن تقضى بضع سنوات فى السجن ، لولا توسلاتك وتدخل البعض لدى صاحب العمل ، الذى اكتفى بطردك ، لتقضى شهرًا كاملًا فى التشرد ، والنوم على الأرصفة فى محطات القطارات ، حتى انتهى بها الأمر إلى العودة إلى هنا ، تطلب العون من خالتك ، التى ما كانت تستطيع أن تنفق عليك إلى مالا نهاية ، من الأموال التى استولت عليها بالنصب هى الأخرى من أزواجها السابقين .

لذا فقد رسمت لك الخطة التى تستطيع بها أن تصلح أمورك ، وتنقذك من حياة التشرد والإفلاس .. وكان الهدف من هذه الخطة هو الإيقاع بابنتى المسكينة فى شراكك ، مستغلًا فى ذلك مرضها وظروفها النفسية ، وتمكنك من خداعها حتى استطعت أن تجعلها تتعلق بك .

قال (عادل) وقد أربكته المفاجأة :

ـ وكيف وصلتك هذه المعلومات عنى ؟

(عبد القادر) :

ـ يبدو أنك نسيت أنت وخالتك ، من هو (عبد القادر

رضوان) .. رجل أعمال مثلى له وزنه ونفوذه ، لا يستعصى عليه معرفة كل شىء عن شخص يطلب يد ابنته .

- أظننت أنك تستطيع أن تخدعنى وتخدع ابنتى بمثل هذه السهولة ؟ أم تصورت أنك وخالتك أن ضعفى الإنسانى تجاه ابنتى سيجعلنى أرحب بهذه الزيجة ، دون أى تحفظات ، ودون الحصول على معلومات وافية عن ذلك الشخص الذى سيصبح زوجها ؟..

قال (عادل) وهو يعقد ذراعيه أمام صدره ، بعد أن تجاوز تأثير مباغتة الأب له . ومواجهته بحقيقته .

- وما قرارك ؟

- نظر إليه (عبد القادر) فى ازدراء ، قائلًا :

- وما القرار الذى تنتظره ، من أب اكتشف أن خطيب ابنته المنتظر ليس سوى نصاب ومحتال ؟

قال (عادل) ببرود :

- رجال الأعمال غالبًا لا يصدرون قرارات انفعالية على هذا النحو .. وإنما يعمدون إلى الحكمة والتروى ، ويأخذون الأمور بواقعية .. أليس كذلك ؟

رد عليه (عبد القادر) فى انفعال :

- إننى أحدثك الآن بلغة الأب ، لا بلغة رجل الأعمال ..

أية حكمة وأى ترو وأية واقعية تلك التى تطالبنى بها ، بعد أن تبين لى أنك شخص مخادع ، أردت استغلال آلام ومعاناة ابنتى ، لتحقيق مصالحك الشخصية ؟. إن أمثالك يستحقون أن يلقى بهم فى صناديق القمامة .. أمثالك ممن يحاولون التعيش على حساب الآخرين ، وعلى حساب خداعهم واستغلال ثقتهم بهم ومعاناتهم ، لا يستحقون الحياة .

قال (عادل) بصلافة وغرور :

- مهلًا .. مهلًا .. ما كل هذه الاتهامات التى تصبها فوق رأسى ؟

أنسيت من هى ابنتك التى قبلت أن أتزوجها ؟ إنها فتاة دميمة ومريضة ومعقدة نفسيًا .

فتاة لا يمكن أن تلقى قبولًا من أى شاب يرغب فى الزواج .

والإغراء الوحيد الذى يمكن أن يدفع أى شاب مثلى للإقدام على زيجة كهذه ، هو الإغراء المادى .

إن كلينا بحاجة ماسة إلى الآخر .. أنت بحاجة إلىّ لمساعدة ابنتك على الشفاء ، وإعادة الثقة إلى نفسها ، بأنها فتاة سوية يمكن أن تحب وتُحب ، وأنا بحاجة إلى ثرائك ونفوذك لمواجهة الظروف الصعبة والقاسية التى أمر بها .

وبذلك تكون الصفقة متكافئة يا رجل الأعمال ، بل ربما كان المقابل الذى سأحصل عليه منك أقل بكثير مما سأدفعه .. فالثمن سيكون عمرى وشبابى الذى سأقدمه لابنتك المريضة هذه .

قال (عبد القادر) بانفعال وهو يسترجع كلماته :

ـ حتى لو قبلت منطقك الانتهازى هذا.. فلا يمكننى أن أوافق على مثل هذا الزواج .

فشخص مثلك إذا ما تحسنت ظروفه المادية .. وقبض ثمن انتهازيته الرخيصة ، لابد أنه سيعمل إلى الخلاص من ابنتى وتحطيم قلبها .

إنك إنسان لا يؤمن شره ما دامت هذه هى أخلاقك .

(عادل) :

ـ ليكن كلامك حقيقيًا ومنطقك مقبولًا .. وأننى كما تدعى إنسان وضيع ، ولا تأتمنه على رعاية ابنتك والإخلاص لها .. إنك لن تقدم الوسيلة التى تستطيع بها أن تطمئن على مستقبل ابنتك معى .

تستطيع أن تحصل على الضمان الذى تريده .. مؤخر صداق باهظ .. بإيصالات أمانة أو ما شابه .. بل تستطيع أن تربطنى بك وبابنتك بوسيلة أكثر فاعلية ، وتضمن أن أكون كالخاتم فى أصبعك .. والزوج المخلص الحريص

على راحة وسعادة ابنتك .. لو جعلتنى شريكًا لك فى أعمالك .

وصاح الأب مستنكرًا ، وقد اشتد انفعاله :

ـ شريكًا لى .. أنت .. تريد أن أمنحك بهذه البساطة جزءًا من ثمرة جهدى وعرقى وكفاح السنين .. إذن فقد كان هذا هو الهدف الذى خططت له منذ البداية .

قال (عادل) فى صلابة وبرود :

ـ ولم لا ؟. ألن أكون زوجًا لابنتك ؟. أعتقد أنه شىء مشرف أن يكون زوج ابنتك شريكًا لك فى أعمالك ، بدلًا من أن يكون عاطلًا يعيش على إحسان والد زوجته ، ثم إن جزءًا من ثروتك سيؤول فى النهاية لابنتك ، ومن الأفضل أن أتعلم كيف أدير هذه الثروة ، لأرعى مصالح زوجتى الآن وفيما بعد .. أقصد بعد عمر طويل بالطبع .

قال له الأب ثائرًا :

ـ يالك من إنسان وقح .. مجرد من الأخلاق .

لقد كنت أنوى بالفعل أن أجعلك شريكًا لى فى بعض أعمالى .. لنفس الأسباب التى ذكرتها .. ولكن هذا قبل أن أتبين حقيقة أمرك ، وباعتبارك إنسانًا شريفًا .

أما الآن فلا يمكن أن أفكر إلا فى طردك من هذا المنزل ، وبدون أى تردّد .

(عادل) :

ـ ألم تقل إنه لا داعى لمثل هذا الانفعال .. إن أى شخص سيفكر فى الارتباط بابنتك لن تجده مختلفًا كثيرًا عنى .

صاح الأب بانفعال :

ـ أخرج من منزلى .

ردّ عليه (عادل) دون أن يفارقه بروده .

ـ حسن .. حسن .. إننى خارج .. ولكن لا تلم إلا نفسك بعد ذلك ، فالصدمة ستكون قاسية على ابنتك .. خاصة بعد أن أحبتنى وتعلقت بى ، وإذا ما أخبرتها بأنك رفضت زواجى منها ، سوف تحمّلك الذنب طوال حياتها ، وسيعاودها المرض والاضطراب النفسى مرة أخرى .

أما إذا حاولت أن تبرر موقفك ، بأن تقول لها بأنك اكتشفت أننى محتال ، وأننى لم أسع ، للزواج منها إلا طمعًا فى مال أبيها ، فسوف يتسبب ذلك فى تحطيم ثقتها بنفسها تمامًا ؛ وقد تسوء حالتها أكثر من ذى قبل .

واردف قائلًا بخبث وهو يراقب الأثر الذى تركته كلماته على وجه الأب :

ـ عليك أن تتحمل مسئولية ذلك أمام ابنتك وأمام ضميرك .

وهم بمغادرة الحجرة ..ولكن الأب استوقفه وقد تنبه لخطورة الموقف بالنسبة لابنته ، قائلًا :

ـ انتظر .

التفت إليه (عادل) دون أن تفارق عينيه تلك النظرة الخبيثة .

فاستطرد الأب قائلًا بعد برهة من الصمت ، وقد اضطربت أفكاره :

ـ أنت أحقر إنسان رأيته فى حياتى .. وأنا آنف أن أضع يدى فى يد شخص مثلك .. ويعلم الله أنه لو كان الأمر بيدى لألقيت بك من هذه النافذة الآن .

ولكنى بالرغم من ذلك ، أدرك حقيقة المأزق الذى وضعتنى فيه ، وأعرف أن كثيرًا مما قلته سيحدث لتلك المسكينة التى استطعت أن تخدعها ، كما خدعتنا جميعًا .

لذا لا أجد بدًا من الموافقة على هذا الزواج ، برغم اعتراضى على شخصك .. إننى مضطر للموافقة .. فلا اختيار لى سوى ذلك وإلا فقدت ابنتى فى النهاية .

وابتسم (عادل) فى ظفر ، قائلًا :

ـ تأكد ياعمى أنك لن تندم على ذلك .. إننى سأكون شخصًا مختلفًا تمامًا عن الشخص الواقف أمامك .. وسوف أكون رهن إشارتك .. كن واثقًا أننى سأرعى (هدى) ..

وسأكون لها بمثابة الزوج المخلص الحنون .. و ...
قاطعه الأب بغلظة :
- إننى سآخذ عليك الضمانات الكافية لحماية حقوق ابنتى .
وهناك شيء آخر .. عليك أن تنسى فكرة مشاركتك لى هذه .. فهذا أبعد إليك من نجوم السماء .
سأوفر لك وظيفة براتب جيد ، وستكون هناك أيضًا بعض المساعدات المادية والعينية التى سأوفرها لك ، من أجل خاطر ابنتى ..
قال (عادل) بدهاء وهو يدعى الإذعان :
- أنا طوع أمرك يا عمى .
قال له (عبد القادر) وهو يحدجه بنظرة قاسية :
- هناك حقيقية يجب أن تنتبه إليها منذ الآن ، وإلى أن ينتهى بي الأجل ، وأن تضعها نصب عينيك .
إننى أفعل هذا من أجل خاطر ابنتى فقط ، وخوفًا عليها ، نظرًا لما أعرفه عن ظروفها الصحية .. فإذا حدث وتسببت يومًا ما فى إيذاء مشاعرها أو تعرضت لأى ألم بسببك ، تأكد أننى لن أتوانى عن تحطيمك تمامًا .
إنى لا أثق بك .. ولا أحبك .. وستكون عيناى عليك دائمًا ، فلا تستهن بتحذيرى لك .. وإلا فلن تجد الفرصة

حتى لكى تستشعر الندم .
ابتسم (عادل) ، قائلًا :
- تأكد أنك ستغير فكرتك تمامًا عنى يا عمى فى المستقبل .. والآن هل ، أستطيع أن أخبر (هدى) بأنك وافقت على زواجى منها ؟ .. وأننى سأحضر مع خالتى بعد الغد لإعلان الخطبة ؟
وقبل أن يجيب (عبد القادر) .. فتح باب الغرفة فجأة بعنف ، حيث اندفعت (هدى) من ورائه قائلة فى انفعال :
- لن تكون هناك خطبة .. ولن يكون هناك زواج .
وقالت لأبيها متشنجة :
- كيف تسمح لنفسك بأن تزوجنى من نصاب كهذا ؟ هل أنا وضيعة فى نظرك على هذا النحو ، لكى تساوم هذا الشخص المخادع على الزواج منى ، فى مقابل ثمن حددتماه معًا ؟
قال لها الأب فى أسى :
- لقد أشفقت عليك يا ابنتى من الصدمة .. وخفت أن يداهمك المرض مرة الأخرى :
قالت وهى تنتحب :
- وهل يدفعك إشفاقك وخوفك علىَّ إلى مشاركة هذا المخادع خداعه لى؟
- ألا ترى ... أنه يعتبر ابنتك دميمة ومريضة ومعقدة

نفسيًا ؟ وكان بالأمس يحدثها عن محاسنها وعن مشاعره الدفاقة نحوها ؟ ألا ترى أى زيف يردده هذا الشخص ؟ هل أردت أن أحيا فى هذا الزيف بقية عمرى ؟ .. أترضى لى أنت هذا ؟ ألم تفكر فى مشاعرى لو اكتشفت يومًا ما أنك استأجرت هذا الرجل ليكون زوجًا لى .. وأنك تدفع له ليستمر فى خداعى وفى إيهامى بأنه الزوج المحب المخلص .

ـ أطرق الأب دون أن ينطق بكلمة .. فى حين حاول (عادل) أن يصلح الأمر فاقترب منها ، قائلًا :

ـ (هدى) اسمحى لى أن أوضح لك ...

ولكنها التفتت إليه قائلة فى حدة وهى تشير بأصبعها إلى الباب :

ـ اخرج من هذا المنزل .. وإياك أن تعود إليه مرة أخرى .

حاول أن يهدئها ، قائلًا :

ـ (هدى) كنت أنوى ..

ولكنها عادت إلى مقاطعته مرة أخرى ، وقد ازداد انفعالها قائلة :

ـ قلت لك اخرج من هذا المنزل .. ولا تدعنى أر وجهك بعد اليوم مطلقًا.

ولم يجد بدًا إزاء إصرارها وحدة موقفها .. سوى مغادرة المنزل ، وقد وقفت (دولت) تراقبه فى أثناء خروجه ، وهى لا تدرى ماذا تفعل ؟ فقد شلّ الموقف تفكيرها .

واقترب الأب من ابنته ، ليضع يده على كتفها برفق محاولًا تهدئة خواطرها ، وهو يقول :

ـ هذا ما كان يجب أن أفعله .. ولكن خوفى عليك هو الذى ...

ولم تدعه (هدى) يكمل عبارته .. إذ اندفعت بدورها لتغادر الحجرة وقد تساقطت العبرات على وجنتيها بغزارة .

وعندما وصلت إلى حجرتها ، أطلقت العنان لمشاعرها ، وتدفقت العبرات من عينيها ، دون أن تقوى على منعها .

وما لبثت أن أحست بذراعها الأيسر وقد ثقلت حركته ، وكذا أصابع يدها اليسرى وقد تصلبت .

لقد عاودها الشلل فى ذلك الذراع وفى كتفها اليسرى مرة أخرى .

لكن مشاعرها الجريحة ، كانت هذه المرة أقوى من عجزها .

أقوى بكثير .

★ ★ ★

٩ - الهاربة ..

أخذ (عبد القادر) يتحرك فى ردهة المنزل جيئة وذهابًا وقد بدت معالم القلق والتوتر واضحة على وجهه ، فى حين جلست زوجته تراقب خطواته المضطربة ، فى جمود وتعاطف مصطنع .

أما ابنته الصغرى (شيرين) فكانت واقفة فى أحد أركان القاعة وفى عينيها نظرة حزن حقيقية .

وبعد قليل هبط الطبيب من حجرة (هدى)، فتعلقت به أنظار الأب فى لهفة وقد ازداد توتره .

واندفع نحوه قائلًا :

- أرجو أن تخبرنى بالحقيقة يا دكتور .

أجابه الطبيب وعلى وجهه علامات الأسف :

- لا أخفى عليك .. حالتها سيئة للغاية .. إنها تعرضت لصدمة عصبية شديدة ، أصابت كتفها وذراعها اليسرى بالشلل .. والحمد لله أنها لم تمتد لبقية أطراف جسدها .. ولكن المشكلة الحقيقية هى أن حالتها النفسية متدهورة للغاية ، وأخشى أن تتسبب هذه الحالة فى خلل فى جهازها العصبى ، ومضاعفات أخرى لجسدها المريض .

قال له الأب فى جزع :

- وما العمل ؟

(الطبيب) :

- لابد من عودتها مرة أخرى إلى (سويسرا) .. إنها بحاجة لأن تكون تحت رعاية مركزة ، وبين أيدى أفضل الأطباء والإخصائيين فى هذا الشأن .. ولكنى أعتقد أن العلاج سيطول بها هذه المرة .

أغمض الأب عينيه فى أسى ، فى حين اندفعت نحوه زوجته لتخفف من وقع الأمر عليه .

أما (شيرين) فقد اندفعت إلى غرفة أختها ، وقد أحست بألم وتعاطف حقيقى تجاهها .. حيث وجدتها وقد تكورت فوق فراشها ، كالطفل فى أحشاء أمه ، وقد احتضنت ساقيها بكلتا ذراعيها ووجهها إلى الجدار .

فاقتربت منها وهى تضع يدها على كتف أختها فى حنان قائلة :

- (هدى) .. أختى العزيزة .. إننى أبحث عن كلمات لأقولها لك فلا أجد ، ولكن أرجو أن تصدقينى لو قلت لك إننى أحبك .. وأشعر بالحزن والأسى من أجلك .

إذا كان قد صدر منى فى الماضى أى تصرف ضايقك أو أغضبك منى ، فأرجو أن تصفحى عنى .. وأن تصدقى أننى أحبك وأتألم من أجلك .

ومهما حدث فإنك فى النهاية أختى الوحيدة ، وأتمنى لك الشفاء من كل قلبى .

وتطلعت إلى وجه أختها فوجدت عبرتين متجمدتين فى عينيها المحدقتين فى الجدار ، فعادت تقول :

- هل تعرفين أننى لن أوافق مطلقًا على الزواج من (عماد) إلا بعد أن يتم لك الشفاء ؟ حتى لو أصرت أمى على ذلك .. فلا أستطيع أن أهنأ بزواجى وأختى مريضة على هذا النحو .

ظلت (هدى) صامتة ، وهى تحدق إلى الجدار ، وتلك الدمعتين المتجمدتين فى عينيها ، دون أن تنطق بكلمة .

وهمست (شيرين) ، قائلة :

- (هدى) .. ألا تقولين شيئًا ؟ ألا تريدين أن تتحدثى مع أختك ؟

ولكن (هدى) ظلت على صمتها .. فانحنت (شيرين) على جبينها لتقبله فى حنان ، ثم انصرفت من الحجرة وهى تبكى .

وعند ذلك تدفقت العبرات من عينى (هدى) ، بعد أن ظلت حبيسة مقلتيها .

وفى أثناء ذلك كانت (دولت) تسعى لتهدئة مشاعر زوجها ، قائلة :

- (عبد القادر) .. يجب أن تلتفت لنفسك وعملك قليلًا .. إننى لم أرك من قبل فى مثل هذه الحالة .

(عبد القادر) :

- وكيف تريدين أن ألتفت لنفسى وعملى ، وابنتى مريضة على هذا النحو ، وأرى حالتها تتدهور يومًا بعد الآخر بهذه الصورة ؟

كان يتعين علىّ أن أكون حذرًا منذ البداية ، وألا أجعلها تتورط فى مشاعرها تجاه ذلك الأفاق .

(دولت) :

- وكيف كان يأتى لك أن تعرف ؟ الحمد لله أننا اكتشفنا حقيقته قبل أن نتورط معه فى ارتباط رسمى ، وهذا بفضل نصيحتى لك .. نصيحة زوجتك المخلصة .. ولا أدرى كيف كنت مستعدًا للموافقة على هذا الزواج برغم اكتشافك لحقيقة هذا المحتال ؟

(عبد القادر) :

- لقد خشيت أن أحطم قلب البنت .. وما خشيته قد تحقق .

(دولت) :

- كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ ، لو اكتشفت ابنتك الحقيقة بعد زواجها منه .

(عبد القادر) :

- المهم الآن ماذا أفعل ؟ قولى لى ماذا أفعل لإنقاذ ابنتى ؟

(دولت) :

- ستفعل ما طلبه منك الدكتور .. ترسلها إلى تلك المصحة التى ذهبت إليها من قبل ، وهناك ستسترد صحتها كما حدث من قبل .

(عبد القادر) :

- أخشى أن الأمر سيكون أصعب هذه المرة .

(دولت) :

- لا داعى لهذا التشاؤم .. فأنت سترسل بها إلى أفضل الأخصائيين ، أسرع أنت بإنهاء إجراءات سفرها أولًا ، حتى تبدأ العلاج .. وتتفرغ أنت لأعمالك ومصالحك .

وما إن غادر المنزل حتى رفعت يديها عاليًا ، وهى تقول بضيق ونفاد صبر :

- يا الله متى تنتهى متاعبنا مع هذه الفتاة ؟ .. متى ؟

★ ★ ★

استدعى (عبد القادر) سكرتيرته الخاصة إلى حجرته ، حيث حضرت ومعها بعض الملفات قائلة :

- تحت أمرك .. يا (عبد القادر) بك .

أشار لها وقد بدا منهك القوى :

- ضعى هذه الملفات عندك الآن .. واجلسى هنا .

جلست السيدة على المقعد المواجه لمكتب (عبد القادر) ، وهى تنظر إليه نظرة إشفاق .. فقال :

- اسمعى يا (نجوى) .. أنت سكرتيرتى منذ سنوات طويلة وأنا أعتمد عليك فى الكثير من أمورى .. ليس فيما يتعلق بالعمل فقط .. ولكن فى بعض أمورى الشخصية أيضًا .. لأننى أثق بك وبإخلاصك وبقدرتك على تنفيذ أى عمل أسنده إليك .

قالت له سكرتيرته :

- إننى رهن إشارتك ، وفى خدمتك دائمًا يا (عب القادر) بك .

(عبد القادر) :

- ظروف عملى هنا لا تسمح لى الآن بالسفر إلى الخارج .. وأنت تعرفين ابنتى (هدى) والظروف التى تمر بها .. إن حالتها تستدعى السفر إلى (سويسرا) لكى تعاود العلاج من جديد .. وأنا أريد أن أعهد إليك بهذه المهمة .

أريد أن تصحبيها فى رحلتها إلى (سويسرا) وأن تتولى كافة الإجراءات الخاصة بإلحاقها بالمصحة العلاجية مرة أخرى .. نيابة عنى .

فهل تستطيعين القيام بهذه المهمة ؟

ردت قائلة :

- اطمئن يا(عبد القادر) بك .. سأقوم بها كما لو كنت موجودًا تمامًا . وستكون (هدى) بين يد أمينة حتى يتم إلحاقها بالمصحة .

(عبد القادر) :

- حسن .. كنت أعرف أننى أستطيع الاعتماد عليك . ستأخذين عنوان المصحة فى (سويسرا) .. وسأقدم لك المال اللازم ، وعليك أن تكونى مستعدة للسفر غدًا .

نهضت سكرتيرته ، قائلة :

- اسمح لى إذن أن أعد نفسى للسفر غدًا .

(عبد القادر) :

- تفضلى .

ولكن قبل أن تصل إلى الباب ، استوقفها قائلًا فى رجاء :

- انتظرى .. تذكرى أن ابنتى مريضة .. أعنى أنها بحاجة إلى نوع خاص من المعاملة والرفق بها .. وإذا بدت منها بعض المضايقات ، عليك أن تتحمليها قليلًا :

ابتسمت قائلة :

- لا داعى للقلق .. إننى أعرف ذلك .. ثم إن (هدى) ليست غريبة علىّ ، لقد التقيت بها من قبل عدة مرات .. فى منزل سيادتك ، وأنا أعتبرها بمثابة أختى الصغيرة .

هدأ (عبد القادر) قليلًا ، وهو يقول :

- أشكرك .. أشكرك جدًا يا (نجوى) .

وما إن انصرفت السكرتيرة حتى أرجع رأسه إلى الوراء مستندًا إلى حافة المسند الخلفى للمقعد الجالس عليه ، وهو يقول :

- أرجو أن تسير الأمور على ما يرام .. أعتقد أننى لم أقصر فى شىء ، وقد عملت كل ما يمكننى عمله بخصوص هذه الفتاة .

★ ★ ★

ظلت (هدى) صامتة طوال رحلة الطائرة التى حملتها إلى (سويسرا) .. وقد بذلت (نجوى) سكرتيرة أبيها محاولات مضنية لحملها على الكلام ، وإخراجها من حالة الوجوم هذه دون جدوى ، ولكن (هدى) ظلت شاردة طوال الرحلة ، وفى عينيها نظرة حزن هائلة ، جعلتها تشعر بالإشفاق نحوها .

وما إن استقرت الطائرة فوق أرض المطار حتى ابتسمت لها (نجوى) ، قائلة :

ـ ها نحن أولاء قد وصلنا يا عزيزتى .

وانهمكت (نجوى) فى إنهاء إجراءات مغادرة المطار ، التى انتهت فى يسر وسهولة ، لكن المفاجأة التى كانت تنتظرها جعلتها تتسمر فى مكانها مذهولة .

لقد اختفت (هدى) ..

انتهزت فرصة انشغالها بإنهاء إجراءات مغادرة المطار ، وهربت منها ، لتختفى ..

وفى قلب (سويسرا) ..





١٠ ـ مرحبًا بالموت ..

أحست (هدى) بالحيرة والخوف عندما وجدت نفسها وحيدة وتائهة وسط زحام المدينة .

إنها تدرى أنها بهروبها على هذا النحو ، ستسبب الكثير من المشاكل للكثيرين ، لوالدها ولسكرتيرته ولنفسها .

وتعرف جيدًا أنها أقدمت على تصرف خاطئ وغير مسئول ، عندما أقدمت على القرار بهذه الطريقة .. ولكنه إحساس تملكها ولم تملك مقاومته .. إحساس استيقظ فى نفسها فجأة ، وهى جالسة فى الطائرة قبل ساعة واحدة من وصولها إلى المطار .

إحساس اجتاح الحزن المدمر الذى استولى عليها ، ثم أصابها بحالة من البلادة وجمود المشاعر ، حتى أنها أصبحت مستسلمة لكل ما يدور حولها ، ولكل مايفعل بها دون أية مقاومة أو حتى إبداء الرأى .

ولكن فى هذه الساعة التى سبقت وصولها إلى (سويسرا) ، تنبهت فجأة لتلك الحقيقة المؤلمة التى يتعين عليها مواجهتها ..إنها عائدة إلى المصحة التى كانت تعالج فيها من قبل .. وإنها لم تبرأ بعد من مرضها .

لقد قضت فى هذه المصحة عامًا كاملًا دون أن ينتهى

الأمر بشفاء حقيقى فعّال ، بل إن كل متاعبها النفسية والجسدية التى ظنت أنها قد انتهت منها تمامًا ، عادت لتسكن جسدها العليل ونفسها المضطربة فجأة وعلى نحو أشد من ذى قبل . إذن فلماذ تمنى نفسها بالرجاء وبالأمل ؟ وأى أمل ينتظر من مثل هذا العالم الملىء بالشرور والآثام ؟

وما الذى يدعوها للعودة إلى ذلك السجن ، الذى يطلقون عليه اسم المصحة ، لتستسلم لمجموعة من القواعد والقوانين الصارمة ، ومجموعة من الأطباء والأخصائيين المخادعين ، اللذين يعدونها دائمًا بالشفاء ، ويطالبونها بالنظرة المتفائلة للحياة ومقاومة عوامل اليأس والمرض ؟

وأية حياة هذه التى يطالبونها بأن تنظر إليها بتفاؤل ، وفيها أشخاص من أمثال (عادل) وأمثال زوجة أبيها ؟ .

ولماذا تقاوم يأسها ومرضها .. طالما أن القدر قد اختار لها أن تكون هذه الفتاة الدميمة المريضة البائسة .

الفتاة التى لا يمكن أن يحبها أحد إلا طمعًا فى أموال أبيها .. أبيها الذى كان مستعدًا أن يدفع ثمن قبول أحد الأشخاص للزواج منها ، بل لماذا تصر على الحياة أصلًا .. ما دامت لم تلق من هذه الحياة سوى العذاب والألم وشرور الآخرين ؟

واتخذت قرارها .. إنها لا تعود إلى تلك المصحة مرة أخرى .. ولن تعود إلى بلدها ولا إلى أبيها .. لقد قررت أن تقطع كل صلة بينها وبين كل من يعرفونها ، وأن تنهى صلتها بكل من كانت تربطهم بها صلة من قبل .. وهى واثقة أن أحدًا لن يهتم برحيلها فى المستقبل .. بل لعلهم سيتنفسون الصعداء لابتعادها عنهم بهمومها ومتاعبها ، برغم تظاهرهم بغير ذلك لفترة من الوقت .

وعاد إليها الإحساس بالخوف والتردد ، وهى تتلفت حولها وسط وجوه لا تعرفها ومستقبل مجهول .. وودت لو عادت إلى المطار مرة أخرى بحثًا عن (نجوى) ، ولكنها قالت لنفسها وهى تحاول أن تقوى من عزيمتها :

ـ فات أوان التراجع .. ولن تتوقف الآن عما اختارته لنفسها .

ورأت إعلانًا صغيرًا على واجهة أحد المكاتب السياحية يشير إلى إحدى المناطق السياحية فى (سويسرا) والتى تطل على بحيرة كبيرة والمناطق الخلابة التى تزخر بها هذه المنطقة .

ولم تكن المشاهدة الخلابة ولا الدعاية السياحية التى تتحدث عن جمال البلدة هى الدافع الذى جعل (هدى) تستقر على الذهاب إلى ذلك المكان .. فهى لم تعد تعبأ كثيرًا

بإغراءات الطبيعة برغم روح الفنانة التى تسكن فيها .. بل إنها ربما لم تعد تحس بأى قيمة لجمال الطبيعة ومباهج الدنيا .. بعد أن أطفأت معاناتها وشعورها بالنقص ، وعدم الثقة فى الحياة والآخرين ، ذلك الإحساس فى نفسها .

لذا فإن اختيارها للذهاب إلى ذلك المكان حدث بوحى المصادفة فقط ، ولأنه كان إعلانًا بارزًا فى واجهة مكتب سياحى .. وربما لو كان الإعلان يحمل اسم بلدة أو منطقة أخرى ، لاختارت الذهاب إليه على نفس النحو العشوائى .

واستقلت القطار ذاهبة إلى تلك البلدة .. وبرغم ارتياحها لقدرتها على اتخاذ قرار والاستمرار فى تنفيذه ، إلا أنها ظلت مضطربة ومبلبلة الخاطر طوال رحلة القطار ، المتجه بها إلى مكان مجهول بالنسبة لها .

ومصير مجهول .

★ ★ ★

دخلت (هدى) قاعة الاستقبال فى ذلك الفندق الصغير المطل على البحيرة ، وقد عاودها الإحساس بالحيرة والخوف ، برغم محاولاتها المستمرة للتغلب عليه ، وسألت موظف الاستقبال بصوت خفيض ، يعبر عن اضطرابها ، عما إذا كانت تستطيع أن تحصل على غرفة فى ذلك الفندق .

ولكنها سرعان ما تبينت أن النقود التى معها لا تكفى أجر ليلة واحدة فى ذلك الفندق .

وأدهشها أنها فى غمرة اندفاعها للهرب من سكرتيرة والدها ، ومن الذهاب إلى المصحة .. وقرارها بالذهاب إلى تلك البلدة ، لم تنتبه إلى تلك الحقيقة .. حقيقة أنها لا تملك النقود الكافية لمساعدتها على تنفيذ قرارها ، والاستمرار فيه حتى النهاية .. حتى وهى تعبث فى جيبها بحثًا عن ثمن تذكرة القطار المتجه بها إلى هذه البلدة . لم تحاول أن تسأل نفسها ماذا تفعل بتلك الفرنكات السويسرية القليلة التى تبقت لديها ، بعد دفع أجرة القطار ؟

لقد اندفعت لتنفيذ ما استقر عزمها عليه دون تفكير .. ولكنها لم تتصور لقلة خبرتها بالحياة والمعاملات ، أن المبلغ القليل الذى تحمله فى جيبها لا يكفى أجر ليلة واحدة فى ذلك الفندق الصغير .

وغادرت الفندق مضطربة حائرة .. لا تدرى ماذا تفعل ؟ أتعود إلى المطار مرة أخرى فربما وجدت (نجوى) تبحث هناك ، أو ربما تركت لها رسالة ما ؟

أم تذهب إلى المصحة التى لابد أن سكرتيرة والدها قد ذهبت إليها لتسأل عنها ، باعتبارها المكان الوحيد الذى تعرفه ؟ أم تحاول الاتصال بوالدها تليفونيًا ؟

وهزت رأسها رفضًا بعنف ، وهى تردّد قائلة لنفسها :
ـ كلّا .. لن أفعل ذلك أبدًا .. لن أستسلم لهزيمة القدر .. كما استسلمت لهزائمه السابقة .
وأخذت تحدق فى البحيرة التى يطل عليها الفندق ، والتى وقفت تتأمل مياهها الزرقاء .. ثم انخرطت فى بكاء عنيف .
وما لبثت أن قالت لنفسها :
ـ سأختار قدرى هذه المرة بنفسى .. ألم أقل من قبل إن الحياة لا تستحق الإصرار عليها ؟ إذن فلماذا لا أهرب من الدنيا بأسرها ؟ لماذا لا أودع عذابها ومآسيها ؟ لماذا لا أودع الحياة ؟
وظلت تنظر إلى المياه الزرقاء الساكنة وذلك الهاجس الشيطانى يلح عليها .
وفى أثناء ذلك ، كان هناك شاب من العاملين بالفندق ، يعمل على استقبال مجموعة من السائحين الوافدين إلى الفندق ، عندما لمحت عيناه تلك الفتاة الواقفة أمام البحيرة فى تأمل وسكون .
وظن أنها تمتع عينيها بجمال البحيرة وصفاء مياهها فى البداية ، وكان قد رآها وهى تسأل عن أجر الغرفة فى الفندق ، ثم لاحظ خجلها وتراجعها عندما تبينت أنها لا تستطيع أن تتحمل ذلك الأجر .. وظن أنها رحلت بحثًا

عن فندق أرخص سعرًا .. ولكن سرعان ما استدعى انتباهه وقفتها أمام البحيرة ، وهى تنظر إليها فى خشوع على ذلك النحو ، وكاد يتجاهل هذا ، وكاد وسط استغراقه فى عمله .. ولكن شيئًا ما جعله يشعر بأن الفتاة توشك على ارتكاب عمل أحمق وطائش .
فأسرع بمغادرة الفندق متجهًا نحوها .
وفى اللحظة التى أقدم فيها على ذلك .. كانت رغبة (هدى) فى الانتحار قد تغلبت على مخاوفها وتردّدها ، فألقت بنفسها فى البحيرة وسط دهشة وصراخ بعض من شاهدوها وهى تغوص فى مياهها العميقة ، لولا أن أسرع ذلك الشاب بالقفز فى البحيرة ، وهو بكامل ثيابه حيث أخذ يسبح بكل ما أوتى من قوة ، حتى تمكن من الوصول إليها وإنقاذها من الغرق ..
فى اللحظة الأخيرة .

★ ★ ★

استردت (هدى) وعيها لتجد نفسها راقدة فوق فراش وثير فى إحدى الغرف ، وتطلعت إلى المكان حولها فى دهشة واضطراب ، وهى لا تدرى ما الذى حدث لها .
كل ما تذكره أنها ألقت بنفسها فى تلك المياه الصافية العميقة حيث بدأت تغوص فى أعماقها مستسلمة لموت

بطىء .. أما ما عدا ذلك فلا تذكره مطلقًا .

وحاولت أن تنهض من فراشها .. ولكنها أحست بضعف شديد ودوار جعلها تتراجع عن المحاولة ، وهى تلقى برأسها على الوسادة فى استسلام ، وأدركت بعد برهة من الوقت مدى حمق ما ارتكبته ..

لقد مرت بلحظات يأس ومعاناة شديدة .. ولكنها لم تفكر مطلقًا فى الانتحار .

حتى بعد صدمتها فى (عادل) ، والجرح الذى أضافه لحياتها ، وأصاب مشاعرها فى الصميم ، لم يرد هذا الخاطر على تفكيرها أبدًا .

لقد أقدمت على هذا التصرف دون تفكير حقيقى .. وفى خلال دقائق معدودة تحت ضغط إحساس مرير باليأس وكراهية الحياة .

وهى ما زالت تستشعر تلك المرارة والكراهية فى نفسها .. ولكن من المؤكد أنها لن تقدم على ذلك العمل الأحمق مرة أخرى ، مهما بلغ يأسها ، ومهما يلغ رفضها لتلك الحياة التى كتب عليها أن تحياها . فتجربة الانتحار تجربة قاسية ومخيفة ، إلى حد لم تكن تتخيله إلا بعد أن كاد الموت أن يبتلعها بالفعل .

كما أنها تخاف لقاء الله وهى منتحرة .. فتلقى عذابه

العظيم .. أما كفاها عذابها فى الدنيا ، حتى تلقى عذابًا أشد فى الآخرة .

من المؤكد أنها لن تفكر فى ذلك عندما أقدمت على فعلتها .

ولكن ترى من هو منقذها ؟ وكيف انتهى بها الأمر إلى المجىء إلى هذه الغرفة ، والرقود فوق هذا الفراش الوثير ؟

كما أن إنقاذها من الموت ، لن يحل لها مشكلتها .. فقد عادت إلى ما كانت عليه ، فتاة وحيدة بائسة ومفلسة ، تحمل بين جوانحها إحساسًا باليأس والهزيمة ، وعدم الثقة ، وينتظرها مصير مجهول لا تدرى كنهه .

وفجأة سمعت عدة طرقات على باب الغرفة .. قبل أن تفتح ليدخل منها ذلك الشاب الذى أنقذها ، حاملًا فى يده صينية بها بعض الأطعمة وبرّادًا من الشاى الساخن .

وتأملته (هدى) بعينيها المرهقتين ..

كان شابًا متوسط الطول أسمر اللون رشيق القوام .. يتميز بوجه رجولى ، لا يخلو من وسامة محببة .

وحدجها الشاب بنظرة قاسية ، وهو يقول لها بلهجة آمرة :

ـ هيّا .. اعتدلى فى جلستك ، وأسندى ظهرك إلى الوسادة .

وجدت (هدى) نفسها تنفذ ما أمرها به باستسلام غريب ، ودون أن تطرح عليه حتى أية تساؤلات .

وقام الشاب بوضع صينية الطعام أمامها فوق الفراش قائلا :

ـ هيًا تناولى طعامك .

ثم أخذ يصب لها الشاى الساخن فى الفنجان المعد لذلك .

وتنبهت (هدى) فجأة إلى أن ذلك الشاب يحدثها بلهجة مصرية ، وهو مالم تنتبه إليه من قبل .. وأدهشها أن تلتقى بشاب مصرى فى ذلك المكان البعيد فى (سويسرا) .. فأخذت تحدق فيه ، ومعالم الدهشة واضحة على وجهها .

ويبدو أنه لاحظ ذلك .. فقال لها بلهجة جافة :

ـ هل ستظلين تحدقين فىّ هكذا ؟ لماذا لا تتناولين طعامك ؟

قالت بصوت خافت :

ـ لست أشعر بجوع :

قال بتلك اللهجة الآمرة التى يبدو وأنه اعتاد استخدامها :

ـ ومع ذلك ستأكلين .. فقد قرر الطبيب إنك بحاجة

لتناول طعام ساخن .. بعد أن وجد جسدك فى حالة ضعف شديد .. وبحاجة إلى تغذية جيدة .

قالت بصوت واهن :

ـ هل فحصنى أحد الأطباء ؟

أجابها قائلًا :

ـ نعم .. لقد حضر طبيب الفندق ليكشف عليك فى أثناء غيابك عن الوعى .

(هدى) :

ـ إذن .. فأنا الآن فى ذلك الفندق المطل على البحيرة .

أجابها مرة أخرى ، قائلًا :

ـ نعم لقد نقلتك إلى هنا بعد أن تمكنت من إنقاذك من الغرق .

(هدى) :

ـ هل أنت الذى أنقذتنى ؟

وبدلًا من أن يجيبها هذه المرة .. صاح فيها قائلًا بغضب :

ـ مالذى جعلك تقدمين على هذه الفعلة الحمقاء ؟

ولم تجبه .. بل صمتت مطرقة ، فعاد يقول بنفس النبرة الغاضبة :

ـ أفعلت ذلك لأنك اكتشفت أنك لا تملكين ثمن ليلة تقضينها فى غرفة فى الفندق ؟

هل ارتكبت تلك الحماقة لأنك مفلسة ؟ .. أم لأنك خضت

تجربة حب فاشلة ؟

أم لأنك تتميزين بالطيش والرعونة ؟ الانتحار عمل طائش وجبان بكل المعايير .. مهما كانت دوافعه وأسبابه .. ولو كان الأمر بيدى الآن ، ولولا حالة الضعف التى تبدين عليها ، لانهلت عليك ضربًا بسبب هذه الفعلة .

ظلت (هدى) على صمتها ، وقد انحدرت على وجنتيها عبرة أخذت تسيل من عينيها ببطء ودون مقاومة .

ولم تؤثر عبرتها عليه .. إذ قال لها وهو يتأمل وجهها الحزين :

ـ أطلقى العنان لعبراتك .. فمن المستحسن أن تكونى نادمة على الجرم التى كدت ترتكبينه فى حق نفسك .

ولكنه لم يلبث أن تقدم نحوها ليمسح عبرتها بمنديله مستطردًا :

ـ ولكن تناولى طعامك أولًا .. فأنت بحاجة إليه .

ووجدت فى نفسها القدرة لمقاومة لهجته الآمرة هذه المرة ، وهى تقول :

ـ لن أتناول أى طعام .. وإذا كنت قد أنقذتنى من الغرق ، فليس من حقك أن تهيننى على هذا النحو .. كما أننى لم أطلب منك أن تنقذنى من الموت .

اربدت ملامحه ، وقد اكتسى وجهه بملامح الغضب ..

ثم مالبث أن أبعد صينية الطعام عنها ، وهو يزيح عنها ، البطانية الصوفية التى تدثرت بها ، قائلًا :

ـ حسن أمامك البحيرة .. تستطعين أن تكررى المحاولة مرة أخرى ، وتأكدى أننى لن أنقذك هذه المرة .

ظلت صامتة فى الفراش ، دون أن تتحرك من مكانها . وإن عادت العبرات لتتساقط من عينيها مرة أخرى .

فأعاد تغطيتها بالبطانية ، وهو يحاصرها بنظراته الصارمة ، ثم وضع صينية الطعام أمامها .. وقدم لها منديله قائلًا :

ـ ما دمت قد عرفت الآن أهمية التمسك بالحياة .. فامسحى عبراتك وتناولى طعامك . وبعد ذلك سيكون لى معك حديث آخر .

ووضع فنجان الشاى الساخن فى الصينية .. ثم غادر الغرفة .

وما إن تأكدت (هدى) من انصرافه حتى أقدمت على تناول الطعام .. فهى لم تتناول طعامًا منذ مغادرتها للطائرة .. وقد أيقظت رؤيتها للطعام إحساسها بالجوع الشديد برغم تظاهرها بعكس ذلك أمام ذلك الشاب المتغطرس .

وأكلت فى نهم .

★ ★ ★

١١ ـ ملاكى الحارس ..

كان قد مر عليها يوم آخر وهى فى ذلك المكان ، وفى تلك الغرفة ..

وكان الشخص الوحيدً الذى تراه هو ذلك الشاب الأسمر ، الذى كان يحضر لها طعامها باستمرار فى مواعيد منتظمة .

ولم يدر بينهما حديث طويل .. عدا تأكده من تناولها لطعامها وسؤالها عن حالتها الصحية .. بلهجة جافة ومتحفظة .. وإن بدت أقل حدة عن ذى قبل .

وأحست (هدى) بأنها استردت نشاطها وصحتها . فغادرت الفراش .. وفتحت نافذة حجرتها وهى تتأمل الحديقة المحيطة بالفندق ، والبحيرة التى كادت أن تلقى الموت فى أعماقها الموحشة ، برغم الصفاء والسكون الذى يبدو على سطحها .. وشعرت بروح الفنانة تتسلل إليها من جديد ، وقد ارتد إليها الإحساس بجمال الطبيعة ، فى هذه البقعة الخلابة .. السخية .

وددت لو أمسكت بفرشاتها الآن لترسم لوحة تعبر عن جمال المشهد الذى تراه .. والذى لم تستشعر جماله من قبل .

وما لبثت أن سمعت عدة طرقات على الباب .. وانتابها إحساس بالسرور لسماعها هذه الطرقات .. فهى تنبئها بمقدم منقذها من الغرق .

لقد ألفته وأحست بالارتياح إليه برغم قصر الفترة التى التقت به فيها وبرغم جفائه الظاهر معها .. ولكنها مع ذلك كانت ترنو إلى باب الحجرة من آن لآخر ، وهى تتلهف على حضوره .

ربّما كان شعورها هذا نحوه ، لتطوعه بإنقاذها من الغرق .. وهى التى لم تتصور أن هناك من هو مستعد للإقدام على مثل هذا الجهد من أجل فتاة مثلها .

وربّما لأنه جعلها تستشعر قيمة الحياة وأهميتها ، بالرغم من كل ما لقيته فيها من معاناة .

وربما لأنه مصرى .. والمرء يسعد بوجود أحد أبناء بلده فى مكان لا يعرف فيه أحدًا ، وبين أناس مختلفين عنه ولا يتحدثون لغته .. إن ذلك يضفى على المرء شيئًا من الشعور بالألفة والأمان .

وهمت بأن تعود إلى الفراش قبل أن يدخل عليها حجرتها .. فهى تظن أنها تلقى منه شيئًا من العطف ، لما تبدو عليه من وهن ومرض .. وربما أصبح أشد جفاءً وقسوة فى معاملتها ، إذا ما تأكد من شفائها تمامًا ،

واطمأن على حالتها الصحية .

ولكن قبل أن تفعل .. فتح باب الغرفة .. وظهر من خلفه رجل متقدم فى العمر ، ويرتدى منظارًا طبيًا فوق عينيه ، حيث ابتسم لها قائلًا بلهجة أجنبية :

ـ صباح الخير .. أنا طبيب الفندق .

وتأملها قائلًا :

ـ أعتقد أنك لست بحاجة إلى الفحص مرة أخرى .. فأنا أراك اليوم وقد استرددت عافيتك ، وأصبحت بحالة صحية طيبة .

ثم استطرد قائلًا :

ـ ومع ذلك فلا بأس من الاطمئنان .. هل تسمحين بأن تعودى إلى الفراش حتى أتمكن من فحصك ؟

وأطاعته (هدى) وهى تشعر بخيبة أمل .. فلم يكن هذا هو الشخص الذى تنتظر مقدمه .

وبعد أن انتهى الطبيب من فحصها ، قال وهو يهز رأسه بارتياح :

ـ كما قلت .. لقد استرددت عافيتك ، وأصبحت فى حالة طيبة للغاية ، والفضل فى ذلك يرجع إلى صديقك .. إنه لم يكتف بإنقاذك من الغرق فقط .. بل قام بدور الممرضة معك وتولى رعايتك على أكمل وجه .

ثم نظر إليها وفى عينيه نظرة تحذير مصطنعة ، قائلًا قبل انصرافه :

ـ أرجوا ألا تحاولى تكرار ذلك الأمر مرة أخرى .. فلن تجدى كل مرة شابًا شهمًا لينقذك .

وما إن غادر الطبيب الغرفة حتى عادت للنهوض من فراشها والوقوف أمام النافذة مرة أخرى ، وهى تسترجع ما قاله لها .

وابتسمت لقوله إنه صديقها .. فهى لا تعرف حتى الآن اسمه .

وأحست بالخجل من نفسها ، لأنها نسيت أن تشكره .. ولكنه لم يتح لها الفرصة لذلك .. فقد هاجمها بقسوة منذ اللحظة الأولى التى استردت فيها وعيها .. ثم استمر فى معاملتها بجفاء ، كلما حضر إلى غرفتها حاملًا الطعام إليها . وشعرت بأنها تفكر فيه أكثر مما ينبغى ..

ولكن لِمَ لا ؟..

أليس هو الشخص الذى أنقذها من الغرق ، وتولى رعايتها خلال اليومين الماضيين ؟

وفجأة سمعت طرقات مرة أخرى على بابها .. وتملكها إحساس بأنه هو هذه المرة .. ووجدت قلبها يخفق بشدة أدهشتها .. فبرغم تعودها على حضوره إلى غرفتها حاملًا

صينية الطعام فى يديه ، إلا أنها المرة الأولى التى يخفق قلبها بهذه الشدة ، وهى تنتظر دخوله إلى حجرتها .
ولم تحاول العودة إلى فراشها كما فعلت من قبل .. بل أخذت تتلفت حولها بحثًا عن مرآة تتطلع فيها إلى وجهها ، ومشط لتصفف به شعرها .. كانت ترغب فى أن يراها على أفضل صورة .
ولكنها سرعان ما تذكرت أن المشط والمرآة لن يضيفا لها شيئًا ، فهى ما زالت تلك الفتاة ذات الوجه الشاحب الكئيب ، والتى لم تؤت قدرًا من الجمال يجذب إليها الانتباه ..
ولكنها طبيعة الأنثى مهما كان حظها من الجمال قليلًا .
على كل حال ، لم يكن هناك متسع من الوقت ، للبحث عن مشط ومرآة ، وتقدمت بنفسها هذه المرة لتفتح باب الغرفة ، فوجدته واقفًا أمامها وفى يده صينية الطعام كالمعتاد .
وقال لها وهو يدخل الحجرة ، ليضع الطعام على المائدة الصغيرة المجاورة للفراش هذه المرة :
ـ حمدًا لله .. هذه أول مرة أراك فيها واقفة على قدميك منذ أن أحضرناك إلى هنا .
ثم استدار إليها ، قائلًا :
ـ على كل حال لقد طمأننى الطبيب عليك .. وقال إنك

قد أصبحت الآن فى حالة طبيعية .
كان صوته أكثر رقة ، وملامحه أكثر ليونة عن ذى قبل .
وقالت له (هدى) وقد اعتراها شىء من الخجل :
ـ نسيت أن أشكرك على إنقاذك لى من الغرق .
وابتسم قائلًا ، وهو لا يقل عنها خجلًا :
ـ وأنا أيضًا ، نسيت أن أعتذر لك عن انفعالى معك ، وتلك اللهجة الجافة التى تحدثت بها إليك .
وتبدلت ملامحه فجأة ، وقد ارتسم على وجهه ملامح تنم عن الألم ، وقد بدا كما لو كان يستعيد ذكرى قديمة وأليمة ، قائلًا :
ـ ولكن أعذرينى .. لقد ارتكب شقيقى الكبير نفس فعلتك منذ عدة سنوات مضت .. ومع الأسف لم يجد من ينقذه من الغرق .. ارتكب فعلته فى لحظة يأس حمقاء ، دفع حياته ثمنًا لها .. وتركت هذه الحادثة أثرًا عميقًا فى نفسى ، وفى نفس والدى ، حتى أن والدتى رحلت عن الدنيا حزنًا وكمدًا عليه .. وما لبث أن لحق بها أبى بعد شهور قليلة .
أحست بتعاطف شديد نحوه ، وهى تراقب ملامح الألم المضنى على وجهه ، قائلة :

- آسفة .. لأننى تسببت فى إثارة كل هذه الأحزان والذكريات المؤلمة .

حاول أن يرسم ابتسامة مجددة على وجهه ، حتى لا يشركها فى آلامه ، وهو يقول :

- تأكدى يا ...

وما لبث أن توقف قائلًا :

- هل تعرفين أننى لا أعرف اسمك حتى الآن ؟

وقالت له بصوت خافت :

- (هدى)

استطرد قائلا :

- تأكدى يا (هدى) .. أنه مهما كانت الأسباب التى دفعت إلى الإقدام على الانتحار .. فالحياة أجمل من أن نضحى بها .

قالت وهى تستعيد الأحداث التى مرت بها فى شرود :

- ليست لمن كانت مثلى .

نظر إليها قائلًا :

- هل أفهم من ذلك أنك قد تعيدين الكرّة ؟

قالت مطمئنة :

- كلّا .. إن لحظات الموت مخيفة مهما كانت قسوة الحياة .. وينبغى على كل حال أن نترك للخالق أن يحدّد

لنا نهايتها كما حدّد لنا بدايتها ، مهما كان اعتراضنا عليها .

وبدت ابتسامته رائعة ، وهو يقول لها :

- إننى سأثق بكلمتك .

ثم استطرد قائلًا :

- وإن كنت لا أدرى ما الذى يجعل فتاة شابة فى مقتبل العمر مثلك ، تحمل كل هذا القدر من اليأس ، الذى يدفعها إلى الانتحار ؟ وذلك الكم من الحزن الذى يبدو واضحًا على وجهها ؟

صمتت دون أن تجيبه .. ولكنه أردف قائلًا :

- آسف .. إننى لا أحاول التطفل بالطبع .. ولكن يؤلمنى أن أرى شابة مثلك .. خاصة إذا كانت من نفس الوطن الذى أنتمى إليه ، يصل بها اليأس إلى هذا الحد .

ولما وجدها غير راغبة فى الكلام ، بدل حديثه ، قائلًا :

- على كل حال إنها مصادفة غريبة أن نكون من بلد واحد تجمعنا الأقدار هنا فى ذلك المكان المنعزل من الريف السويسرى .. إننى أعمل فى هذا الفندق ، ولكن بصفة مؤقتة خلال أشهر الصيف فقط ، حيث أتحول إلى طالب مجد طوال أشهر الشتاء ، فقد جئت إلى (سويسرا) من أجل الحصول على الدكتوراه فى الاقتصاد من جامعتها ..

ولولا النقود التى أحصل عليها من عملى فى الفندق .. بجانب المبلغ الذى يصلنى من (القاهرة) لما استطعت مواصلة الدراسة التى قاربت على الانتهاء منها .

ونظر إلى الطعام الموضوع على المائدة ، قائلًا :

ـ لقد أثقلت عليك .. وطعامك بدأ يبرد .. سنواصل الحديث فى وقت آخر ، والآن ، هيًا لتتناولى طعامك .. أعتقد أنك لست بحاجة لتناوله وأنت راقدة على الفراش الآن .

وهم بمغادرة الغرفة ، ولكنها استوقفته قائلة :

ـ انتظر من فضلك .

وقالت بشىء من الحرج :

ـ إننى أواجه مشكلة بشأن إقامتى فى هذه الغرفة .. وبشأن الطعام الذى تقدمه لى .. فأنا .. أنا لا أمتلك ثمن الإقامة والطعام هنا ولا أدرى .. كيف ..

قاطعها وتلك الابتسامة الساحرة على وجهه :

ـ لا تقلقى بشأن ذلك .. لقد دفعت ثمن الإقامة والطعام عنك لمدة ثلاثة أيام .

قالت رافضة :

ـ ولكنى لا أستطيع أن أقبل ذلك .

وسألها قائلًا :

ـ ألديك بديل عن ذلك ؟ لا تنسى أننى مصرى ، كيف

كان يتسنى لى أن أرى ابنة بلدى تواجه مأزقًا كهذا فى بلد غريب ، دون أن أقف بجانبها ؟.. إن (سويسرا) لم تنسنى شهامة أولاد البلد بعد .

(هدى) :

ـ ولكنك بحاجة لهذه النقود التى تجمعها من أجل الدراسة .. يكفى أنك تحملت عبء إنقاذى .. لاأستطيع أن أحملك أيضًا عبء إقامتى .

ظل محتفظًا بابتسامة ، وهو يقول :

ـ على كل حال تستطعين أن تعتبرى ما دفعته دينًا عليك ، توفينه فى الوقت الذى يناسبك .. المشكلة الآن ليست فى إقامتك خلال اليومين الماضيين ، المشكلة ماذا ستفعلين فيما بعد ؟ هل تنوين مغادرة ذلك المكان إلى جهة ما فى (سويسرا) ؟ العاصمة مثلًا .. أم تنوين الرحيل إلى (القاهرة) ؟

وقالت فى شىء من الرجاء :

ـ ليتنى أجد الوسيلة للبقاء هنا .. فقد أحببت ذلك المكان ، ولكن أن المشكلة أننى لا أستطيع الحصول على نقود فى الوقت الحاضر .

ـ أتى بمقعد ليضعه أمام المائدة ، وهو يدعوها إلى الجلوس لتتناول الطعام ، قائلًا :

ـ لا تقلقى .. تناولى طعامك أولًا ، وسأجد لك حلًا لهذه المشكلة أيضًا .

ونظرت إليه بدهشة ، قائلة :

ـ كيف ؟

أجابها قائلًا :

ـ ما رأيك لو عملت معى هنا ؟.. إنهم بحاجة لفتاة تعمل فى الإشراف على ترتيب ونظافة الحجرات .

أم أن هذا العمل لا يناسبك ؟

هلّلت وقد اكتسى وجهها بفرحة غامرة لهذا الاقتراح :

ـ بل يناسبنى تمامًا .

قال لها :

ـ حسن .. وبذلك تضمنين الاحتفاظ بهذه الغرفة ، وبثلاث وجبات فى اليوم .

ومبلغ لا بأس به فى نهاية الاسبوع .

ولكن سرعان ما اختفت الفرحة من وجهها ، وهى تنظر إلى ذراعها اليسرى العاجزة ، قائلة :

ـ ولكن ...

أدرك ما تعنيه .. فقال لها بلهجة مطمئنة :

ـ لا تقلقى بشأن هذا .. إنك تستطيعين استخدام الذراع الأخرى بصورة جيدة .. أليس كذلك ؟

أجابته قائلة :

ـ نعم .

ـ حسن .. هذا يكفى ، فالعمل الذى ستقومين به لا يحتاج لأكثر من هذا .

وسألته قائلة :

ـ إنك تتحدث بلهجة واثقة .. وكأنك متأكد أن صاحب الفندق سيوافق على تعيينى فى فندقه .

قال لها بثقة :

ـ صاحب الفندق صديق لى .. ولن يتأخر عن إجابة طلب لى .. خاصة وأنه بحاجة ملحة بالفعل لمشرفة على الحجرات .. اطمئنى سيكون لك ما تريدين .

وجدت نفسها تقول له بتلقائية شديدة :

ـ لا أدرى كيف أعبر عن شكرى وامتنانى لك .. إنك تبدو وكأنك ملاك أرسله لى الله لينقذنى من الموت ، ويقدم لى الدفء والرعاية والأمان الذى أنشده .

نظر إليها نظرة احتوتها وهو يفتح باب الغرفة ، قائلًا :

ـ إنك تبالغين فى تقديرى .. أى شخص آخر فى مكانى . التقى بك فى نفس الظروف ، لم يكن سيفعل أقل مما فعلته .

قالت وهى ترمقه بنظرة إعجاب واضحة :

ـ لا أعتقد .. بالمناسبة إنك لم تذكر لى اسمك بعد .
أجابها قائلا :
ـ (عصام) .. (عصام نور الدين) .
ثم أغلق الباب وراءه وتركها تردد اسمه فى افتتان قائلة :
ـ (عصام) .. (عصام) .
ووجدت نفسها تعقد مقارنة بينه وبين (عادل) .. وتساءلت ، قائلة :
ـ أتكون حقًا .. قد بالغت فى تقديره كما قال ؟. وكما بالغت من قبل فى تقديرها (لعادل) قبل أن تتبين لها حقيقته ؟
وهزت رأسها بشدة .. وهى تقول :
ـ كلا .. شتان ما بين الاثنين .. (فعادل) كان يجيد الكلام المنمق كأنه نصاب محترف .. أما (عصام) فهو رجل أفعال .. وأفعاله دائمًا تسبق ما يقول ، إنه رجل بكل معنى الكلمة .. رجل يمكن الاعتماد عليه والثقة به .
كما أنه لا يعلم شيئًا بعد عنى ، ولا يعرف أننى ابنة المليونير (عبد القادر رضوان) .. ومع ذلك فقد وقف بجانبى منذ الوهلة الأولى .. ولم يتوان فى رعايتى ومساندتى ، دون أى غرض ودون أية أطماع .

حقًا إنه يفعل ذلك بدافع من رجولته وشهامته اللتين تبدوان واضحتين فى كل تصرفاته . وبدون أية مشاعر عاطفية .. يمكن أن تبرر هذه التصرفات ، ويتعين عليها ألا تطمع فى شىء من هذه المشاعر .. وألا تتعدى مرة أخرى قدر نفسها .
ولكن هذا لا ينفى إعجابها .. بل افتتانها به .. وهو شىء لا تملك شيئًا حياله .. فالأيام القليلة التى ظهر فيها فى حياتها أنستها تجربتها الأليمة مع (عادل) .. بل غدا وكأنه لم يكن له وجود فى حياتها .
تضاءل تمامًا بعد أن رأت (عصام) وعرفته عن قرب . وإن كانت تعرف أن من المحتم أن يبقى ذلك الشاب الأسمر الوسيم فى دائرة أحلامها فقط ، وبعيدًا عن واقعها الذى يضن عليها بعاطفة حب حقيقى متبادل من الطرفين هذا قدرها .

* * *

١٢ ـ حلم وحقيقة ..

مرت ثلاثة أسابيع على (هدى) منذ جاءت إلى هذا الفندق الصغير ، استطاعت خلالها أن تقوم بعملها على أكمل وجه ، وأن تكسب ثقة صاحب الفندق وثقة زملائها .

وبدأت تتخلص تدريجيًا من انعزاليتها .. ولم تعد تتعرض كثيرًا لتلك الأحاسيس المضطربة ، ومشاعر الكآبة والكراهية التى كانت تنتابها من قبل .

إنها تشعر لأول مرة فى حياتها بأنها إنسانة نافعة لنفسها وللآخرين ، وأنها تستطيع أن تكون ناجحة فى عملها .

وتعددت اللقاءات بينها وبين (عصام) .. وكانت تدور بينهما أحاديث طويلة فى أثناء الطعام وخلال أوقات الفراغ .

كان دائمًا متلهفًا على لقائها والحديث إليها .

وأرجعت .. (هدى) ذلك إلى مشاعر الغربة التى ألفت بينهما ، فى ذلك المكان البعيد عن الوطن ليس إلّا .

وقد حاول (عصام) مرتين أن يسألها عن سبب انتحارها ، وعن الدوافع التى تكمن وراء ذلك ، ولكنها طلبت منه ألا يطرح عليها مثل هذا السؤال ، وأن يجنبها

تلك الذكرى المؤلمة .

كما أخبرته بأنها تنتمى إلى أسرة فقيرة .. وأنها استدانت ثمن تذكرة الطائرة ، وجاءت إلى (سويسرا) بحثًا عن فرصة عمل طيبة ، تستطيع بها أن تساعد أهلها وتساعد نفسها ، بعد أن سدت أمامها سبل العمل فى (مصر) .. ويئست من الحصول على وظيفة بعد تخرجها .

ولما سألها لماذا اختارت (سويسرا) بالذات ، وهى دولة لا تتوافر فرص العمل فيها .. أجابته بأنها جاءت بحثًا عن قريبة لها غادرت (مصر) منذ سنوات بعيدة ، وجاءت إلى (سويسرا) ، ولكنها لم تجدها ، وعرفت أنها هاجرت إلى (أستراليا) وأنها أصبحت فى مأزق لا تحسد عليه ، بعد أن نفدت نقودها ، فاضطرت إلى أن تبحث عن عمل بنفسها ، واختارت السفر إلى هذه البلدة بطريقة عشوائية .

وكان هذا هو الجزء الوحيد الصحيح فى قصتها الملفقة .

وبرغم أن (هدى) كانت تكره الكذب إلا أنها أرادت ألا يعرفها أحد على أنها ابنة (عبد القادر رضوان) رجل الأعمال والمليونير المعروف .. وحرصت على أن تبدأ فى

هذا المكان حياة جديدة بكل معنى الكلمة .

وكانت سعيدة ببساطة الحياة التى تحياها ، وبالعمل الذى تؤديه .. وانعكست سعادتها هذه على حالتها النفسية التى بدأت فى التحسن تدريجيًا وهى لم تكن تأمل فى أكثر من ذلك .

شىء واحد هو الذى كان ينغص عليها سعادتها .. تذكرها لأبيها .

ترى ماهى حالته الآن ، بعد أن اكتشف حقيقة فرارها ؟ أتكون قد تسببت له فى حزن وألم بالغين بسبب فعلتها هذه ؟ أم أنه لم يعد يعبأ بها ، وقد كان كل ما يهمه هو التخلص منها ؟.. ربما يكون غيابها قد أثار قلقه لبعض الوقت ، ثم ما لبث أن بدأ يتقبل الأمر مع مرور الأيام .

ولكنها لم تقتنع بذلك الرأى الذى أرادت به أن تسكت ضميرها وتريحه .

إنه أب .. وأى أب فى مكانه ، لابد أن يجزع ويقلق [illegible]وب ابنته على هذا النحو .

إنها لا تدرى لماذا لا تسىء الظن به دائمًا ؟ إنه لم يقصر [illegible]وها فى شىء ، بل إنه كان يبالغ فى رعايتها والاهتمام [illegible]ا ، مهما كان تفسيرها لطريقته فى إبداء هذه الرعاية .

لقد أرسل بها إلى أفضل المصحات العلاجية ، لتتلقى

العلاج المناسب .. ولم يؤخر لها طلبًا ..

بل إنها حتى فى تحاملها عليه فى موقفه الأخير مع (عادل) ، نسيت [illegible] ذلك بدافع من خوفه عليها ، ورأفة بحالتها .

لقد بدأت الآن تحس بمدى تجنيها على أبيها .. وتحاملها عليه بلا سبب واضح أو مبرر .

ربّما كان ذلك بسبب حالتها النفسية وابتعادها عنه لفترة طويلة .. وربّما لأن عقلها الباطن لم يغفر له استبداله بأمها تلك الزوجة القاسية التى لم تظهر لها أى ود أو حنان .

ولكن من المؤكد أنه لم يقصر فى رعايتها ، وفى القيام بواجبه نحوها .

ويتعين عليها هى أيضًا ألا تقصر فى واجبها نحوه ، وأن ترأف بحالته كأب وتعلمه بمكانها .. على الأقل حتى يطمئن عليها .

ولكنها عادت لتقول لنفسها بخوف :

ـ لا ليس الآن .. لو عرف بمكانى فسيأتى ليأخذنى ، أو يعمل على إدخالى المصحة مرة أخرى .. وأنا لا أرغب فى مغادرة ذلك المكان .. على الأقل الآن ، بعد أن لمست فى نفسى مدى التحسن الذى بدأ يطرأ علىّ ، ومتعة

الإحساس بالعمل والنجاح فيه ... وبأن يحترمك الناس لشخصك ولنجاحك فى تعاملك معهم .. لا لأنك ابنة المليونير فلان .

إنها هنا تحيا بلا نظرات إشفاق مصطنعة ، على تلك الفتاة المريضة البائسة .. وبلا كلمات نفاق رخيصة .. وبدون أن تخشى مخادعين من أمثال (عادل) ، يخدعونها بكلمات الحب ، ويسعون إلى الزواج منها فقط من أجل أموال أبيها .

وأيقظها (عصام) من أفكارها ، وهو يأتى من خلفها متسللا ، ليقول :

إلى أين وصلت فى رحلتك البعيدة ؟

وابتسمت قائلة :

ـ (عصام) .. أين كنت ؟ لقد سألت عنك ، وعرفت أنك قد غادرت الفندق .

قدم لها (عصام) حقيبة صغيرة ، قائلا :

ـ كنت أحضر لك هذا .

نظرت إلى الحقيبة فى دهشة ، قائلة :

ـ وما هذا ؟

أجابها قائلا :

افتحيها فتعرفين .

فتحت الحقيبة .. فإذا بها أدوات رسم كاملة .

وهتفت قائلة فى فرحة :

ـ أدوات رسم .

(عصام) :

ـ لقد أخبرتنى من قبل أنك خريجة كلية الفنون الجميلة .. وأن لديك خبرة طيبة بالرسم .. وأنك تتمنين لو أمكنك رسم بعض المناظر الطبيعية الخلابة هنا .. لذا قررت أن أحضر لك أدوات رسم كاملة لتقرنى القول بالفعل .

(هدى) :

ـ ولكن هذا كثير .

بدت فى عينيه نظرة حتان دافق ، وهو يقول لها :

ـ لا شىء يكثر عليك يا (هدى) ـ

أثرت فيها مشاعره الحنونة .. فقالت له :

ـ لقد قدمت لى أكثر مما أستحق .

(عصام) :

ـ لا تقولى هذا ، إن الفترة القصيرة التى عرفتك خلالها .. كشفت لى عن روح شفافة تسكن بداخلك .. وقد وجدت فيك شيئا يختلف عن كل من رأيت من الفتيات .. وزاد إعجابى بك عندما وجدت أنك تملكين قلبا كبيرا

يمتلىء دفئًا وحنانًا .

(هدى) :

- إنك تسبغ على من الصفات ما لا أستحقه ، فأنت لا تعرف عنى الكثير حتى الآن .

(عصام) :

- إننى لا أهتم كثيرًا بما لا أعرفه قدر اهتمامى بما أحسه فيك .. وإن كان ما يحيرنى ويؤلمنى هو أننى أشعر بأن روحك الشفافة معذبة ، وفى قلبك الكبير جرح لا أدرى كنهه .. وأنا عاجز عن معرفة السبب ، وبالتالى عن مساعدتك فى هذا الشأن .

(هدى) :

- لقد قدمت لى الكثير من المساعدة بالفعل .. وخففت على الكثير من معاناتى .

ولكن لا تقل إنك قد فعلت كل هذا بدافع من المروءة وشهامة أولاد البلد .

ابتسم لها قائلًا :

- كلا يا (هدى) .. ربما كان هذا هو دافعى فى البداية .. أما الآن فمشاعرى نحوك تتجاوز ذلك .

(هدى) :

- هى الشفقة إذن .

(عصام) :

- إنك لست بحاجة إلى الشعور بالشفقة .. ففيك صفات يتمناها المرء ، ويحسدك عليها الآخرون .

ابتسمت فى مرارة ، قائلة :

- أى صفات هذه التى يحسدنى عليها الآخرون ؟ .. على كل حال إنها محاولة طيبة منك لرفع روحى المعنوية ، وتستحق التقدير .

(عصام) :

- إننى لا أدرى ، لماذا تصرين دائمًا ، على أن تبخسى من قدر نفسك ؟

(هدى) :

- إننى لا أبخس من قدر نفسى .. ولكننى فقط أعرف قدر نفسى جيدًا .. انظر إلى ذراعى المشلولة .. وقل لى .. أهذا ما أستحق أن أحسد عليه ؟

(عصام) :

- ذراع عاجزة لا تنقص من شخصية المرء شيئًا .. ثم أنك أخبرتنى بأن عجز ذراعك هذه ، راجع إلى عوامل نفسية .. وأنك سبق أن أصبت بنفس الداء ، ثم شفيت منه .. وبالتالى فإن شفاءك ليس ببعيد ... وربما يحدث هذا مع اطراد تحسن حالتك المعنوية .

قالت بسخرية :
ـ هذا عن ذراعى .. ولكن ماذا عن هذا الوجه ؟
نظر إليها قائلًا :
ـ وماذا يعيب هذا الوجه ؟
(هدى) :
ـ ألا ترى .. كم يفتقر إلى الجمال ؟
(عصام) :
ـ من قال هذا ؟ إن الجمال نسبى .. ومن ناحيتى فإننى أرى وجهك جميلًا :
قالت متهكمة :
ـ يالك من مجامل .
(عصام) :
ـ صدقينى إننى لا أجاملك .. لا تشكين لحظة واحدة فى أنك جميلة ، ربما تكونين فقط غير مهتمة بإبراز جمالك ، وإظهار أنوثتك ، لأنك رسخت فى نفسك أنك تفتقرين إلى الجمال .

وإن كانت الوجوه الجميلة ليست كل ما يميز المرء .. بل المهم النفوس الجميلة .. وأنا أرى أنك تمتلكين الاثنين .
(هدى) :

ـ هل تعرف ؟.. إننى أعرف مصحة نفسية هنا فى (سويسرا) يمكننى أن أرشحك للعمل بها أخصائيًا نفسيًا ، فأنت تجيد ذلك .
(عصام) :
ـ وأنا أصر على أننى لا أبغى من وراء ما أقوله ، العمل على رفع روحك المعنوية كما تدعين .. بل إننى أقرر ما أراه وأحسه بالفعل .

وجدت فى نفسها الجرأة لتقول له فجأة فى تحدٍ :
ـ أترغب إذن فى الزواج من فتاة مثلى ؟
صمت لبرهة من الوقت ، وهو يحدق فيها فى دهشة .
فقالت وهى تتأمل ملامح الدهشة البادية على وجهه :
ـ أرأيت .. أنك ...
قاطعها قائلًا :
ـ لا تفسرى صمتى تفسيرًا خاطئًا يا (هدى) .. إنك فقط أدهشتنى ، فقد كنت أفكر فى ذلك بالفعل .. غير أننى لم أكن أدرى كيف أفاتحك فيه ؟
قالت متعجبة :
ـ أوصلت بك الشهامة إلى هذا الحد ؟!
(عصام) :
ـ الأمر لا يتعلق بالشهامة يا (هدى) .. قلت لك منذ

البداية إننى معجب بك .. ولكننى أخفيت عليك أن إعجابى هذا ، قد بدأ يتحول إلى عاطفة قوية تجاهك .. إلى حد أصبحت أشعر معه بأننى لا أستطيع الابتعاد عنك .

وسبب تردّدى فى مفاتحتك بحقيقة هذه المشاعر ، وبرغبتى فى الارتباط بك ، كان مبعثه ظروفى المادية ، التى تحكمها الدراسة هنا .. ولكن الدراسة لم يعد متبقيًا عليها سوى أشهر قليلة .. ولا أعتقد أنها يمكن أن تكون عائقًا فى سبيل ارتباطنا .. خاصة وأننى سأكون بعد حصولى على الدكتوراه فى مركز لائق بك .

نهضت قائلة :

- أعتقد أننى قد أحرجتك بسؤالى الجرىء هذا .. فلا تورط نفسك معى ..

وتناولت حقيبة أدوات الرسم ، قائلة :

- وعلى كل حال أنا أشكرك على هذه الهدية الرقيقة .

أمسك بيدها ، قائلًا فى تصميم :

- (هدى) .. إننى مصر على طلب الزواج منك .. وأيًا كان الأمر سواء سألتنى أم لم تسألى .. فقد كنت أستعد لطرح هذه الرغبة عليك بعد أن تتوطد الصلة بيننا أكثر من ذلك .. لكننى أعتقد أننى لست بحاجة لما هو أكثر من ذلك كى أصارحك بحقيقة مشاعرى .. وأنا ألح فى طلبى ،

إلا إذا كان لديك اعتراض على شخصى ، أو مانع يحول دون موافقتك على الارتباط بى .

نظرت إليه مليًا وقد أحست بالصدق فى عينيه .

وأخذت تسائل نفسها ، قائلة :

- أيمكن أن يكون هذا صحيحًا ؟ أهو يحبها حقًا ويتمناها زوجة له ؟

أيحبها لذاتها وهو الذى لا يعرف عنها سوى أنها فتاة بائسة تسعى وراء فرصة عمل .. وبلا مورد .. أرادت الانتحار هربًا من متاعبها المادية والنفسية ، وبذراع عاجزة عن الحركة ، ووجه يفتقر للجمال الذى يرى منه الكثير هنا حوله فى كل مكان ؟

لو كان هذا صحيحًا .. فإن هذا أكثر مما تتمناه .. وتحلم به .. فقد أحبت هذا الشاب منذ الوهلة الأولى .. بل عرفت معه معنى الحب الحقيقى . وإن قنعت بأن يبقى حبًا من جانب واحد وبلا أمل .

وكان أقصى ما ترغبه وتتمناه ، هو أن تبقى بجواره .. وبالقرب منه ، وألا يأتى اليوم الذى لا تراه فيه .

أما أنه يحبها ، ويطلبها للزواج .. فهذا يتخطى أحلامها بمراحل .

وظلت متردّدة وهى تعتقد أنها أحرجته بسؤالها التهكمى

هذا ، وأنه لإنسانيته الكبيرة .. ورجولته الحقيقية أبى أن يحرجها ، بإجابة رافضة لسؤالها .. بل عمد إلى تصوير الأمر على أن هذه هى رغبته الحقيقية لينقذ كبرياءها .

ولكن أيمكن لأحد أن يأخذ قرارًا خطيرًا كهذا يرتبط بمصيره وحياته القادمة ، من أجل هذه الدوافع فقط .

إنها حائرة .. ولا تعرف بم تجيبه .. وكيف تتصرف .. وإن كانت تتمنى لو كانت مشاعره نحوها ، ورغبته فى الزواج منها حقيقة .

ولكن على كل حال يتبغى أولًا أن يعرف عنها كل شىء قبل أن يتخذ قراره ؛ لذا فقد واجهته قائلة :

- يجب أولًا أن تعرف عنى كل شىء .. وبعد ذلك خذ الوقت الكافى للتفكير ، قبل أن تطلب منى شيئًا كهذا .

وعادت لتجلس أمامه .. ثم أخذت تروى له كل شىء عن تفاصيل حياتها ، وعن سبب حضورها إلى (سويسرا) .. وعن حقيقة وضعها الاجتماعى ، وعندما انتهت من سرد كل التفاصيل ، حاول (عصام) أن يقول شيئًا لكنها وضعت يدها على شفتيه ، قائلة :

- كما اتفقنا لا تقل شيئًا الآن .. خذ وقتك الكافى للتفكير ، ثم خذ قرارك فيما بعد .

والآن هل تسمح لى بالانصراف ؟

هزّ رأسه بالموافقة .. فحملت حقيبة الرسم وتركته جالسًا إلى المائدة ، وهو يستعيد ما قالته فى ذهنه مرة أخرى ..

بل عشرات المرات ..

★ ★ ★

مرت أربعة أيام كاملة ، منذ أن أطلعت (هدى) (عصام) على سرها .

أربعة أيام أحست خلالها أنه يتشاغل عنها ، ويتجنب لقاءها ، وهو الشىء الذى لم تعتده منه من قبل .

وأدركت أنه قد استرد واقعيته .. ووجد أنها ليست الزوجة المناسبة له .

ولم تحاول هى الأخرى أن تفرض وجودها عليه ، بل ولم تلمه على تصرفه ، وإن كانت قد أحست بأنها تفتقده بشدة .. وترنو إلى الحديث إليه ، ومصاحبته فى أوقات فراغه كما كانت تفعل من قبل .

ليته لم يورط نفسه معها إلى هذا النحو ، الذى كلفها فراقه لها .

وليتها لم تحرجه بسؤاله هذا .. لقد كان كل شىء يسير على خير ما يرام ، وكانت سعيدة بحبها له ، دون أن تأمل فى أن يبادلها مشاعرها .. كانت ممتنة لوجوده بجوارها

وحديثه إليها .. أما الآن فهى فى طريقها لأن تفتقده تمامًا .

وعاودت هذه المشاعر الحزينة (هدى) ، وهى واقفة فوق أحد التلال الخضراء المجاورة للفندق ، ترسم لوحة لجزء من الطبيعة المحيطة بها ، مستخدمة فى ذلك أدوات الرسم التى أحضرها لها (عصام) .

وكانت فى طريقها تقريبًا للانتهاء من اللوحة ، بعد أن أصبحت هى شغلها الشاغل فى أوقات فراغها ، تعويضًا لها عن انصراف (عصام) عنها ، وهربًا من التفكير فيه .

وفجأة سمعت صفير إعجاب خلفها .

والتفتت لترى (عصام) واقفًا على مسافة قريبة منها ، وهو يتأمل اللوحة التى ترسمها فى إعجاب .

وما لبث أن قال :

ـ رائعة .. لدى صديق سيرحب باقتناء لوحاتك ، إذا ما ظللت محتفظة بهذا الأسلوب المتميز .

هتفت بلهفة وقد سقطت الفرشاة والألوان من يدها :

ـ (عصام) .

نظر إلى الفرشاة والألوان التى تناثرت فوق العشب الأخضر ، قائلًا :

ـ انتبهى .

ولم تكن مهتمة على الإطلاق بالألوان والفرشاة . بل ولا اللوحة ذاتها .

لقد وجدت نفسها تندفع دون أن تدرى ، وبلا أية محاذير لتلقى بنفسها بين ذراعيه وهى تنتحب .

ونظر إليها (عصام) فى استغراب ، قائلًا :

ـ (هدى) .. ماذا بك ؟

قالت من خلال نحيبها :

ـ كنت أخشى أن تهجرنى.. (عصام) انس كل شىء .. انس ما قلته لك ، وانس ما قلته لى .. ولكن فقط لا تبتعد عنى .. لا تحرمنى من تلك الألفة التى نشأت بيننا ، ومن الساعات الحلوة التى نقضيها معًا .

(عصام) :

وكيف يتسنى لى أن أنسى ذلك .. وقد جئت لألح فى مطالبتك بالزواج منى ؟!

تراجعت إلى الوراء وهى تنظر إليه غير مصدقة .. ووجدت قلبها يخفق بشدة .. وسعادة أكثر من طاقتها .. وازدردت لعابها ، وهى تقول :

ـ هل فكرت فى الأمر جيدًا ؟

(عصام) :

ـ بل فعلت ما هو أكثر من التفكير خلال الأيام الماضية .. ربما أكون قد تجاوزت حدودى ، وربما أنه كان علىَ أن أستأذنك أولًا .. ولكنى سمحت لنفسى أن أفعل ذلك ودون علمك .

لقد اتصلت بوالدك فى (مصر) وطمأنته عليك ، وأخبرته بمكانك .. ثم طلبتك منه رسميًا .

وأخبرته بأن ظروفى لا تسمح لى بالحضور إلى (مصر) الآن لاقتراب موعد الدراسة .. لذا فإننى سمحت لنفسى ، وبما لا يتفق مع التقاليد ، بأن أعلن عن رغبتى فى الزواج منك تليفونيًا .

فما كان منه إلا أن قال لى إن الأمر يتوقف على موافقتك أولًا .. وأنه سيحضر بنفسه إلى (سويسرا) للاطمئنان عليك أولًا ، وسماع قرارك قبل أن يعلن موافقته .

ترى أتسامحيننى على تصرفى هذا ؟

ظلت صامتة لبرهة من الوقت ، ثم ما لبثت أن ابتسمت فى سعادة بالغة ، وهى تقول :

ـ بل إنك فعلت أكثر مما أتمناه .

(عصام) :

ـ أيعنى هذا أنك موافقة على الارتباط بى ؟

(هدى) :

وكيف يمكن لفتاة ألا توافق على الارتباط برجل أحبته من كل قلبها ؟

فتح لها ذراعيه ، قائلًا :

ـ تأكدى أننى سأعمل كل ما بوسعى لإسعادك .. فأنا أيضًا أحببتك بأكثر مما كنت أتخيل .

ارتمت (هدى) بين ذراعيه ، وقلبها يكاد أن يقفز من بين ضلوعها فرحًا وسعادة .

ولكنه لم يلبث أن أبعدها عنه ، وهو ينظر إليها متمعنًا .. ثم هتف قائلًا :

ـ (هدى) .. إنك تحركين ذراعك بطريقة طبيعية .. لقد شفيت ذراعك اليسرى تمامًا .

وتأملت (هدى) ذراعها ، ثم أخذت تحركها فى مختلف الاتجاهات ، وقد ازدادت سعادتها .

ثم نظرت إليه ، قائلة :

ـ أترى ماذا فعل بى الحب ؟

واقتربت منه لتنظر إليه بوجد وهيام ، قائلة :

ـ شكرًا ياحبيبى على هذه المساعدة التى قدمتها لى أيضًا .. فمنذ أن جئت إلى هنا ، وأنت تعمل على رعايتى وإسعادى ، بل شفاء جسدى ونفسى أيضًا .

مسح بيده على شعرها ، قائلًا :

ـ ولن أتوقف عن هذا ما حييت .
والآن هناك شىء آخر .
وسألته :
ـ وماهو ؟
أمسك بيدها قائلًا :
ـ تعالى معى .
عادت لتسأله :
ـ إلى أين ؟
جذبها (عصام) هابطًا التل ، وهو يقول :
ـ ستعرفين بعد قليل .
واصطحبها إلى الفندق ، حيث قدمها إلى أخصائية تجميل ، قائلًا :
ـ هذه هى السيدة (سوزيت) أخصائية التجميل المعروفة ، والتى التحقت بالعمل فى فندقنا .. إن لها مبدأ شهيرًا ، وهو أنه لا توجد امرأة دميمة .. بل هناك فقط امرأة لا تعرف كيف تظهر جمالها .
وهى متخصصة فى إظهار جمال المرأة .. لذا سأسلمك لها لتظهر ما خفى فيك ، ولتعرفى أنك لا تقلين جمالًا عن الأخريات .
وبالفعل بعد ساعة واحدة بين يدى هذه الأخصائية فى

التجميل ، غادرت (هدى) صالونها وقد أصبحت فتاة أخرى .. وتألقت ملامح جمالها .. ولم تعد هى تلك الفتاة الشاحبة الوجه الكئيبة الملامح .
بل غدت فتاة حسناء تجذب الأنظار .. وإن لم يكن المكياج وحده هو الذى أضفى على وجهها كل هذا التورد والحيوية .. بل عبير الحب أيضًا .. الذى أيقظ كل حواسها ، وأضفى عليها جمالًا خفيًا ، يعجز عن إضفائه أى متخصص فى التجميل .
ونظر إليها (عصام) بإعجاب ، وهو يهتف قائلًا :
ـ هل من المعقول أن هذه الغادة الحسناء ستصبح زوجتى ؟ يالى من شخص سعيد الحظ .
قالت (هدى) بخفر وحياء :
بل أنا المحظوظة بالزواج من شخص مثلك .
وتأملها بتمعن قائلًا :
ـ إذن فكلانا محظوظ بالآخر .. فلندع الله أن يحفظ لنا دائمًا ذلك الحظ السعيد .
ثم نظر إلى ساعته قائلًا :
والآن استعدى لاستقبال والدك .. فسوف يحضر إلى هنا بعد ساعتين من الآن .
هتفت قائلة :

ـ أهذا حقيقى ؟

ابتسم لها قائلًا :

ـ وهل وعدتك أبدًا بشىء ولم أنفذه ؟ اطمئنى كل شىء سيسير على ما يرام .. ستلقى بأبيك ، وسنحصل على مباركته لزواجنا .. ونعود من (سويسرا) بعد عدة أشهر ، وأنت زوجة الدكتور (عصام نور الدين) الأستاذ بكلية الاقتصاد .. وسأبذل كل جهدى لكى تكونى فخورة بى وسعيدة بالحياة معى .

أحاطته بذراعيها ، قائلة :

ـ إننى فخورة بك بالفعل ياحبيبى .. والسعادة لم تعرف طريقها إلى حياتى إلا منذ لقائى بك .. أعاهدك أنا أيضًا على أن أعمل على إسعادك وراحتك ، وعلى أن يبقى حبك خافقًا فى قلبى دائمًا .

واحتضنت ذراعيه وهى تبتسم للحياة ، بعد أن ابتسمت لها الحياة أخيرًا .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

المؤلف



أ . شريف شوق

السلسلة الوحيدة التى لايجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



وابتسمت للحياة

عاشت هدى ناقمة على حياتها ، وهى ترى نفسها وقد حرمت الكثير مما تحظى به الآخريات ، فمرض جسدها ، واضطربت مشاعرها إلى أن أشرقت شمس الحب فى دنياها فعادت لتبتسم للحياة .

الثمن ف
وما يعادله بالدولار الأمريكى ف عربية والعالم